أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ١٧٩

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الثامن ـ القاهرة : شعبان سنة ١٣٧٨ ـ فبراير (شباط) سنة ١٩٥٩ ـ المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

شهر شعبان

إذا تحدثنا عن الأشهر والأيام والأمكنة ، وعن قيمتها في نظر الإسلام فحديثنا عنها في واقع الأمر هو حديث عما ارتبط بها من ذكريات وأحداث كانت لها دلالتها في تصوير بعض مبادئ الإسلام نفسه . ومن ذلك حديثنا اليوم عن شهر شعبان : فتروى عائشة رضى الله عنها في حديث لها تقول فيه : « لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان . فإنه كان يصوم شعبان كله . وفي رواية كان يصوم شعبان إلا قليلا » .

فحرص النبي صلى الله عليه وسلم على صوم شعبان أو صوم أكثره ، يعطي ما للصوم عامة من أهمية في حياة الإنسان وحياة المجتمع ، ثم ماله من أهمية على وجه الخصوص في شهر شعبان . وأهميته على وجه العموم ؛ لأنه وسيلة يصفى بها الإنسان نفسه وقلبه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويهذب بها لسانه وسلوكه . ثم هو وسيلة من جانب آخر يلتقى بها الإنسان أزمات الحياة الخاصة والعامة، وما أكثرها وما أشدها فى بعض الأحايين . أما أهمية الصوم فى هذا الشهر بخصوصه فهى : فى أنه تمهيد لأداء واجب الصوم المفروض : وهو صوم رمضان . فإذا صام الإنسان بعض أيام هذا الشهر قلت أو كثرت . فسيشعر بأنه قد أعد نفسه لقبول صوم رمضان ، كما أعدها لأدائه إعداداً فيه رضاء نفسى وعدم مشقة فى الأداء .

* * *

ومما يرتبط بشهر شعبان أيضا وله أثر فى توكيد بعض مبادئ الإسلام ، ما يحدثنا به تاريخ الإسلام عند ما اتصل المسلمون بغير المسلمين والتقوا بهم فى بعض المواقع والحروب . فهو يحدثنا أنه فى الأيام الأولى لولاية عمر رضى الله عنه التقى جيش المسلمين بجيش الفرس فى شعبان ، فى موقع يعرف « بالنمارق » فى أرض الفرس ، وكان على رأس جيش المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفى . فلما انتصر المسلمون اتضح لأبى عبيد أن قائداً كبيراً من قواد الفرس وقع فى الأسر ، وأمنه أحد المسلمين ، أى وعده بسلامة حياته من القتل . وهنا أشار بعض المسلمين على أبى عبيد بقتل هذا القائد فكان جواب أبى عبيد « إنى أخاف الله أن أقتله : وقد أمنه رجل مسلم ، والمسلمون كالجسد الواحد ، ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم » . وما صنعه أبو عبيد هنا هو تطبيق عملى لما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل « فيروى - فى رواية البخارى - عن أم هانئ بنت أبى طالب أنها قالت : قلت يا رسول الله : زعم ابن أمى على (رضى الله عنه) أنه قاتل رجلا قد أجرته (أمنته) فلان بن هبيرة - تعنى (جعدة بن زوجها هبيرة بن وهب المخزومى) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا (أمنا) من أمنت يا أم هانئ » .

فما وقع من أبى عبيد فى خلافة عمر رضى الله عنه من أنه احترم عهدا لأحد المسلمين ، أعطاه اليوم لم وقف منهم بالأمس موقف العدو المحارب اللدود - وهو عهد تأمين سلامته والإبقاء عليه حيا لا يؤذى ولا يضار - هذا الذى وقع من أبى عبيد يدل دلالة واضحة على أن الروح الإسلامية ، وهى روح العفو والصفح عند المقدرة ، وعند النصر كانت سنة المسلمين الذين فهموا إسلامهم واتبعوه فى شئون حياتهم ، ثم يدل دلالة أخرى على أن الفرد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المسلم فى المجتمع الإسلامى له كيانه وله احترامه ، لا يلغيه المجتمع ولا يضحى بإرادته ورأيه ؛ لأنها إرادة المسلم الذى يشعر فى نفسه بمقومات مجتمعه ويحرص على كيانه كما يحرص على وجود نفسه ، ولذلك ما يلتزمه بعضهم يلتزمه البعض الآخر كما قال أبو عبيد نفسه : « والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم » .

هذه الذكريات التى يرويها تاريخ الإسلام والتى ترتبط بشهر شعبان من شأنها أن تعيد إلى عقولنا صورة صحيحة سليمة لمبادئ الإسلام ، ومن شأنها أيضا أن تقوى فى قلوبنا الإيمان به كنظام سليم للحياة الإنسانية التى لا عوج ولا انحراف فيها .

اليوم تحاول أن تغزو المسلمين ـ تغزو أسماعهم وعقولهم وقلوبهم ـ اتجاهات يحاول بعضها أن يلغى اعتبار الفرد كلية فى مجتمعه ، ويحاول البعض الآخر منها أن يجعل الفرد كل شىء ، يهون فى سبيل فرديته وأنانيته المجتمع الذى يعيش فيه .

ولكن الإسلام كما يبدو من هذا المبدأ وهذا التطبيق له الذى رويناه الآن ـ كإحدى ذكريات شعبان ـ يوضح لنا مدى احترام الفرد فى مجتمعه ، ثم مدى حرص الفرد على هذا المجتمع.

الإسلام يريد فردا بناءا متعاونا ، ويريد مجتمعا مكونا من أفراد لهم حريتهم ومشيئتهم ، ولكن يعمر قلوبهم الإيمان بوجود هذا المجتمع وبالمثل التى يسعى إليها .

يقول القرآن الكريم « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . يريد أمة واحدة فى مقوماتها وأهدافها ، أمة واحدة فى عبادتها ربا واحدا ، أمة واحدة فى تعاونها وتماسكها ، ولكن لأفرادها حريتهم ومشيئتهم . حرية بعيدة عن الفوضى ومشيئة بعيدة عن الهوى والأنانية .

محمد البهى
مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الدراسات النفسية فى القرآن :

مسايرة القرآن للطبيعة الانسانية

من أهم سور القرآن الكريم فى جانب العناية بلفت الأنظار إلى المعانى النفسية التى تسيطر على الناس ، والتى تؤثر فى تصرفاتهم واتجاهاتهم ومستقبلهم على وجه واضح ؛سورة الأنفال .

نزلت هذه السورة بعد غزوة بدر التى كانت مبدأ انتصار المسلمين وبروزهم فى الجزيرة العربية كدولة يحسب حسابها ، ولم يكن المسلمون قبل ذلك إلا جماعة من اللاجئين المضطهدين انحازوا إلى بلد آمن كثير من أهله بما آمنوا به فآووهم ونصروهم، وتقاسموا وإياهم مساكنهم وأسباب معيشتهم ، فعرف هؤلاء وهؤلاء باسم المهاجرين والأنصار : الأولون لهجرتهم ، والآخرون لنصرتهم .

كانت المثالية تسود هذا المجتمع قبل غزوة بدر على نحو رائع يحدثنا به أهل التاريخ ، وأصحاب السيرة والحديث ، وناهيك بمجتمع يصل التعاون فيه إلى أن ينزل الرجل عن إحدى زوجتيه فيطلقها لكى يمكن ضيفه من فرصة التزوج بها مكتفياً بالأخرى ، ثم لا ينزل عن زوجة ما ، ولكن يخير ضيفه بين الزوجتين كى يختار هو من تروقه منهما ، فينزل له عنها بالطلاق ، فيتزوجها .

وقد سجل القرآن الكريم هذا الخلق التعاونى الإيثارى الذى يبدو فى مثل هذا المظهر فقال « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم » .

فهناك حب متبادل بين أفراد المجتمع : الأنصار يحبون المهاجرين ، ولا يشعرون فى أنفسهم بأية حاجة أو رأى يتمنون فيها أن تتوفر لهم بل يؤثرونهم على أنفسهم أعظم الإيثار ، والمهاجرون يحبون الأنصار فيرفعون أكف الضراعة إلى الله تعالى أن يغفر لهم ولإخوانهم ، وأن يطهر قلوبهم من عوامل الغل والحسد التى تخالج المحروم حين يلقى صاحب النعيم ، وهكذا يظلل الجميع محبة وسلام نابعان من القلوب ، باديان فى مظاهر التعاون الكامل ، والتراحم التام ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هكذا كان مجتمعهم قبل بدر ، يوم كانوا مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس .

وما أحسن ما كان يتمثل به أبو بكر الصديق رضى الله عنه من شعر طفيل الغنوى فى بنى جعفر بن كلاب ، فقد روى المرزبانى فى كتاب الشعر بإسناد قال : لما تشاغل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأهل الردة استبطأته الأنصار فقال : إما كلفتمونى أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما ذاك عندى ولا عند أحد من الناس ، ولكنى والله ما أوتى من مودة لكم ولا حسن رأى فيكم ، وكيف لا نحبكم ؟ فوالله ما وجدت لنا ولكم مثلا إلا ما قال طفيل الغنوى لبنى جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت ... بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقى الذى لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجئوا ... إلى حجرات أدفأت وأظلت !

* * *

تعرض هذا المجتمع المثالى المتضامن المتراحم ، لأول مرة ، إلى ما تتعرض له كل المجتمعات من الوقوف أمام عوامل التمحيص والابتلاء ، ومجابهة الحوادث الطارئة التى تستدعى تفكيراً وتقديراً وموازنة وترجيحا ، والتى تشتجر فيها دوافع الرغبة البشرية فى إيثار السلامة والغنيمة ، ودوافع الواجبات الدينية والوطنية إلى التضحية وإنكار الذات ، وكان ذلك قبيل غزوة بدر ، وفى أثنائها ، وبعدها .

يصور القرآن الكريم موقف التردد فى الإقدام على أخطار ملاقاة المشركين فى بدر ، وينسب هذا الموقف إلى فريق من المؤمنين فيقول :

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

وإنا لا نجد الجو الكفيل بتفسير هذه الآية الكريمة ، أو تكييف أمر كهذا الذى كراهية شديدة للانبعاث إلى القتال ، وأن فريقا من المؤمنين كان يحمل لواء المعارضة ، وأن هذه المعارضة كانت من القوة والعنف بمنزلة كبيرة ، وما ظنك بمعارضة للرسول صلى الله عليه وسلم يصفها الله تعالى بأنها جدال له عن الحق بعد ما تبين ، ويصور مظهر أصحابها وهم يلحون فيها ويلجون بأن مثلهم كمثل الذين يساقون إلى الموت وهم يشاهدونه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عيانا ، ثم ما بالك بمعارضة يقال فى الانتصار عليها ، وإبطال ما يدعو إليه « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » تصويرا لما احتاج الأمر إليه من الحسم بأن يكون الإخراج من الله لرسوله ، وبأن يعبر عن الله فى هذا المقام باسم الربوبية إيذانا بما فى هذا الإخراج من لطف الحبيب لحبيبه ، وبأن يؤكد هـذا الإخراج الربانى بأنه متلبس « بالحق » ، كل هذا يدل على أن الجو قبيل هذه الغزوة كان جواً مليئا بالمعارضة والخوف والتردد ، وأن هذه الغزوة ما كانت لتتم لولا لطف من الله وتدبير لرسوله ولدينه وللمؤمنين .

ثم يأتى بعد ذلك فى القرآن الكريم تسجيل لموقف الإغراء الذى اقتضى الأمر أن يغرى الله به المؤمنين ، وأن ينشط فيهم عوامل الأمل حتى تغلب عوامل اليأس ، وأن يفسح المجال فى هذا الأمل حتى للرغبات الشخصية البشرية تلطفا بهم فى الحث على تحقيق أمر الله ، كل ذلك ندركه حين نسمع قوله تعالى :

« وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » (١) .

تستطيع أن تدرك من هذا ما قاله المفسرون فى أسباب النزول ، من أن القوم لم يكونوا يرغبون فى قتال المشركين ، وإنما كانوا يقصدون طائفة العير التى كانت قادمة بالتجارة إلى مكة وعليها أبو سفيان بن حرب ، وأن أبا سفيان أحس بذلك فأرسل إلى قريش أن أدركوا عيركم وأموالكم قبل أن يغير عليها محمد وأصحابه ، وأن قريشاً نفرت للنجدة ، وأن المسلمين وجدوا أنفسهم بذلك فى موقف جديد : أيتجهون بوجوههم إلى الطائفة المحاربة وهى ذات الشوكة ، أم يعودون من حيث أتوا فإنهم لم يكونوا قد خرجوا للقتال ولا استعدوا للقتال ، وهذا هو موقف التردد الذى وقفوه ، والذى عرفناه .

ولقد أوحى الله إلى رسوله بوعده وعده المؤمنين وقطعه على نفسه : أن يظفرهم بإحدى الطائفتين ، طائفة العير أو طائفة النفير .

وهنا نقف وقفة يسيرة أمام ما يدل عليه هذا الوعد الإلهى :

إن الله تعالى هو خالق الإنسان ، وهو الذى يعلم ما توسوس به نفسه ، والإنسان

---

(١) الآيتان ٧ ، ٨ من سورة الأنفال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بطبيعته يكره القتال لأنه ينظر فيه إلى الجانب المؤدى إلى فنائه وبطلان سعيه ، فهو لا يخف إليه ، بل يحتاج إلى حث عليه ، وترغيب فيه ، ودعوة إليه باسم المعانى التى يؤمن بها ، أو باسم الرغبات التى يحب تحقيقها ، لذلك نرى القرآن الكريم يتحدث عن القتال وهو ناظر إلى هذه الطبيعة البشرية ، رام إلى علاجها ، فهو يقول « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » [١] .

فقد احتاجت معالجة هذه الطبيعة الإنسانية إلى عدة أشياء جاءت بها هذه الآية الكريمة : احتاجت إلى بيان أن القتال فريضة مكتوبة ، ولا تجد التعبير عن المفروض بلفظ « الكتابة » إلا حيث يكون الأمر محتاجا إلى قوة فى الإيجاب لثقله فى التكليف ، مثل « كتب عليكم الصيام » ، « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » [٢] ، « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين » [٣] إلى غير ذلك [٤] ، واحتاجت إلى الاعتراف بأن القتال مكروه « وهو كره لكم » ، وهذا الاعتراف فيه فائدة تمهيدية لعلاج النفوس من هذه الكراهية ، فإنك إذا اعترفت لمن تريد علاجه بالحقيقة التى يحس بها ولو كانت مرة أو كانت مما لا يلتئم وما تريده عليه ، فإنه يأنس إليك ، ويستمع لتوجيهك ، إذ يعلم أنك منصف ، وأنك لا تنازع فيما لا مجال للنزاع فيه ، فهى طريقة تربوية قائمة على الصراحة وعدم الهروب من مواجهة الواقع ، ثم تدرجت من هذا الاعتراف إلى بيان أمر لا تنكره النفوس ؛ لأنها جربته مراراً ؛ ذلك هو أنه ليس ما يكرهه الإنسان شرا دائما ، ولا ما يحبه الإنسان خيرا دائما ، فعسى أن يكون وراء المكروه خير والإنسان يجهله ، وعسى أن يكون وراء المحبوب شر وهو لا يعلمه ، والله وحده هو الذى يعلم عاقبة الأمور ، فإذا أمر بشىء أو نهى عن شىء ، فإن أمره ونهيه هما المصلحة والخير بدون شك .

هذا المعنى ، أو هذه الحقيقة ، وهى أن القرآن الكريم ينظر إلى النفوس وما هو من طبيعتها ، وأن الله تعالى - وهو العليم الحكيم الرءوف الرحيم ، لا يمكن أن يسوس عباده سياسة تواتيها التغاضى عن فطرتهم وما يعلمه من طبائعهم - هذا المعنى هو الذى اقتضى عدل الله أن يرعاه حين أوحى إلى رسوله بوعده المؤمنين إحدى الطائفتين : العير أو النفير

---

[١] الآية ٢١٦ من سورة البقرة . [٢] الآية ٤٥ من سورة المائدة . [٣] الآية ١٨٠ من سورة البقرة . [٤] راجع ص ٢١ من كتابنا دعائم الاستقرار فى التشريع القرآنى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهذا الوعد بالظفر من شأنه أن يثبت القلوب ، وأن يهزم عوامل التردد ، ثم مجيئه على هذا النحو من الإبهام بين الطائفتين ، من شأنه أن يوسع آفاق الأمل أمام المؤمنين ، وأن يراعى اختلاف الناس فيما يستهويهم ويأخذ بألبابهم ، فليس كل الناس مثاليا إلى الحد الذى يصلح معه أن يناشد الجميع باسم المثالية : وقد يقول قائل : كيف وقف القرآن هذا الموقف منهم وهو إنما قام على أساس تقديس المعانى الروحية ، وتقدير القيم الخلقية ، فهل يتفق مع هذا أن يلاحظ ما فى بعض النفوس من الميول الشخصية ، وأن يبهم فى مثل « إحدى الطائفتين » مراعاة لها ؟ قد يقول هذا قائل ، والجواب أن ملاحظة القرآن وجميع أصول الإسلام للميول الشخصية ، وانبناء التشريع على الجمع بينها وبين ما هو من جنس المعانى الروحية ، والقيم المثالية ، إنما هو حيث لا تكون الماديات والشخصيات ممنوعة أو حراما أو منافية للمبادئ الفاضلة ، وفى قضيتنا هذه نجد المؤمنين أمام أعداء لهم أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ، وأصبحت بينهم وبينهم عداوة تخولهم حق مصادرة ما يستطيعون مصادرته من أموالهم ، فالذين كانوا يرون أن يتجهوا إلى طائفة العير ، لم يخرجوا بهذا عن دائرة معاقبة المشركين وإيلامهم وإن كان فى ذلك نفع مادى لهم ؛ فإنه من حقهم ، وليسوا به خارجين على مثلهم ومبادئهم . لذلك ليس هناك بأس فى مسايرة القرآن لهم نوعا من المسايرة بهذا الإبهام فى الوعد بإحدى الطائفتين ، حتى يتسع أمام الجميع كما قلنا أفق الأمل كل على حسب ما يستهويه ، وحتى يبدو المؤمنون جميعا فى موقف ثابت متوحد أمام أعدائهم دون تردد فى الإقدام على ملاقاته ، وبذلك يتم تدبير الله تعالى ، ويتم لطفه الخفى الذى تأتى به إلى نصر المؤمنين ، ولله الحكمة البالغة .

وينبغى ألا يفوتنا أن القرآن مع ذلك لم يترك المؤمنين لهذا الأمل الشخصى ، وإن كان مباحا ، ولكنه سايرهم عليه نوعا من المسايرة كما قلنا تدرجا بهم ، ثم أعلى شأن المقصد الأكبر الذى من أجله دبر ، ومن أجله لطف ، وهو إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وقطع دابر الكافرين . وذلك حيث يقول « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وناهيك بالتوجيه العظيم الذى يوحى به قوله جل شأنه « وتحبون » « ويريد الله » .

محمد محمد المدنى
أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السنة

عمل المرء لغيره

— ١ —

صلاح العمل عند الله ـ الأعمال أصناف ثلاثة ـ
عمل الولد من عمل والديه ـ موت الولد العاق أيسر
البلايا به ! ! ـ من شكر الوالدين . . . . . .

عن أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا ماتَ الإنسانُ انقطع عملُه إلا من ثلاثةٍ : إلا من صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ يُنتَفَعُ به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له .
رواه مسلم (*)

كثر الجدل قديماً وحديثاً ـ ولا يزال قائماً ـ فى مثوبة الله تعالى وجزائه لعبده على عمل غيره . . . فرجونا من الله أن يهدينا سبيل الرشاد ، حتى نخلص إلى الحق من بين هذه المعركة الثائرة ، وأن يشرح بالحق صدورا لا تزال بالجدل ضائقة حائرة « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

لا جدال فى أن من أصول الإسلام البينة ، ألا يقبل عند الله عمل غير صالح ، سواء

(*) فى كتاب الوصية ، بهذا اللفظ ليس غير ، وهو الذى رواه ابن القيم فى كتابه « الروح » لكن بلفظ « ثلاث » من غير هاء ، ورفعه النووى فى شرحه لمقدمة مسلم بلفظ : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية . . الخ ، ومن الغريب أن ينسبه صاحب كشف الخفاء إلى أبى داود والترمذى والنسائى والبخارى فى الأدب المفرد ويترك « مسلما » ولعله سهو منه أو من الناسخ ، ومن الخطأ نسبته إلى الشيخين أو إلى البخارى وحده فإنه لم يخرجه فى « صحيحه » وهو المراد عند الإطلاق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أعمله المرء لنفسه ، وهو ما قدمنا الحديث عنه فى الجزء الأسبق ؛ أم عمله المرء لغيره ، وهو ما نعرض له فى هذا الحديث ؛ ولا جدال كذلك فى أن صلاح العمل عند الله سبحانه ، إنما هو ببنائه على العلم المأثور ، وخلوصه من الشرك أكبره وأصغره ، حتى لا يبتغى به عامله إلا وجه ربه الأعلى .

ومن الأوليات التى يعرفها كل مسلم أن الإسلام بنى على الإيمان والعمل ، والتعاون على البر والتقوى .

ومما يجب التنبيه عليه فى هذه المقدمة إحقاقا للحق وإيضاحا له ، أن عمل العبد قد ينتهى بانتهاء أجله ، وقد يمتد إلى أمد قريب أو بعيد بعد أجله ، وربما كان عظيما خالدا لا ينقطع أثره . . وقد يكون المرء سببا فى عمل غيره له فينسب إليه كأنه عمله ، ويلحقه ثوابه وأجره من غير أن ينقص شىء من أجر العامل نفسه ، ومن هنا كان الدال على الخير كفاعله . . . وإذاً فالأعمال أصناف ثلاثة :

١ — عمل المرء لنفسه كسبا وسعيا وتحصيلا من طريق متصل مباشر ، لا وساطة فيه ولا سبب ، كصلاته وصيامه وحجه ، وسائر أعماله البارة التى تنتهى بموته ، أو يمتد أثرها بعده إلى ما شاء الله لها أن تمتد ، مسجلة فى صحيفته ، كعلمه النافع ، وتأليفه الراشد ، وحبسه الخير على أهله . .

٢ — وعمل لم يعمله المرء لنفسه ، ولكنه كان سببا فيه أو داعيا له ودالا عليه ، ولولاه ما نبت هذا العمل ولا أثمر ، كمن أنقذ كافرا ، أو أرشد حائرا ، أو هدى ضالا ، أو علم جاهلا ، أو دعا إلى الرشد حاكما ، أو رد إلى العدل ظالما . . . لا جرم أن له أعمالا مباشرة متصلة ، هى الإنقاذ والإرشاد والهداية والتعليم والدعوة والرد ، وله وراءها أجور آثارها الحسنة إذ كان سببا فيها ، ولولاه لعدمها الكفر وما بعده . .

٣ — وعمل لم يعمله المرء ولم يكن له فيه سعى ولا سبب ، اللهم إلا السبب العام ، وهو الإيمان بالله وبما جاء به خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم .

والحديث شاهد عدل على أن المرء ينتفع بعمله الذى امتد أثره بعد موته ، كما ينتفع بعمله الذى انقطع ثوابه بموته ، وعلى بطلان ما ذهب إليه شرذمة من أهل الكلام والبدع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زعموا أن الميت لا ينتفع بعد أن فارق حياته بشيء ألبتة ، وشاهد عدل كذلك على أنه ينتفع بما كان سببا فيه وداعيا له ، فإن استثناء هذه الأعمال الثلاثة من جملة عمله دليل على أنها منه وأن سبب العمل والسعي فيه يلحقه به ، لا جرم أن الولد من كسب الوالد وسعيه ، وأن ما يعمله من الصالحات فلأبيه وأمه فى صحائفهما مثل أجره ، إذ كانا السبب فى وجوده وتربيته ومن هنا كان من أعظم الأعمال أثراً ، وأجلها قدراً ، تنشئة الأولاد على الهدى والاستقامة وتربيتهم على الصالحات التى يدخرها الوالدان لأنفسهما ، وليس عليهما بعد بلوغ الجهد والوسع فى التربية على الهداية ، ألا يهتدى الولد ، فإن التوفيق للهداية بيد الله وحده ، وقد قال لنبيه صلوات الله عليه وسلامه : « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » .

ويؤيد هذا الحديث ويفصله ما رواه ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما نشره ، وولداً صالحا تركه ، ومصحفا ورثه ، ومسجدا بناه ، وبيتا لابن السبيل بناه ، ونهرا أجراه وصدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته » .

والاقتصار على الثلاثة فى حديث مسلم ، لأنها أصول الصالحات المذخورة التى يرد إليها غيرها ، ويقاس عليها أمثالها ، أو لأن الله أعله بالثلاثة أولا ثم أعله بما زاد عليها ثانياً ، « وقل رب زدنى علما » .

وفى الحديث التحريض على وقف الخيرات والمبرات الدائمة التى يبقى ذخرها وأجرها ما بقيت أعيانها . . .

وتقييد العلم بالمنتفع به ، لأن العلم الذى لا ينتفع به لا يثمر أجرا ، بل ربما كان وزرا وبلاء وإثما على صاحبه ! ومن سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن فى الإسلام سنة سئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء *

---

* اقتباس من حديث جرير بن عبد الله رضى الله عنه . رواه مسلم ، وشرحناه فى جزء رجب من المجلد ١٨ عام ١٣٦٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإنما وصف الولد بالصلاح ؛ لأن الأجر قلما يكون من غيره ، اللهم إلا أجر الصبر على مصيبته والنكبة به والجهاد فى تقويمه ! ! لاجرم أن فسق الأولاد وعقوقهم من أشد البلايا والمصائب والفتن التى يمتحن الله بها آباءهم ! ! وإن موتهم لأهون هذه البلايا وأيسرها على ذويهم ! !

* * *

ولا يلحق الوالد شيء من أوزار ولده وسيئاته ، إذا كانت نيته فى تربيته تحصيل الخير له والعمل على ما ينفعه فى دينه ودنياه ، ولم يكن معينا له على فساده . . .

وليس دعاء الولد شرطاً فى حصول أجر الوالد ومثوبته ؛ فإن الأجر ثابت للوالدين كلما عمل ولدهما الصالح عملا صالحاً وإن لم يدع لهما ، كمن غرس شجراً ، أو أجرى نهراً ، أو وقف خيراً . . فإن له أجرها سواء دعا له من انتفع بها أم لم يدع له .

وإنما ذكر الدعاء تحريضاً للولد على الدعاء لوالديه ، براً بهما ، وشكراً لهما ، ووفاء لبعض حقهما عليه ، وامتثالا لأمر الله تعالى ، واقتداء برسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد قال جل ثناؤه : « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » وحكى عن شيخ رسله وأنبيائه نوح عليه السلام دعاءه لوالديه خاصة ، وللمؤمنين عامة ، فقال عز من قائل : « رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً » . لا جرم أن الولد يؤجر على الدعاء لوالديه ، وأن الوالدين ينتفعان بدعاء ولدهما ، علاوة على انتفاعهما بكل عمل صالح يعمله .

* * *

أما بعد ، فها هو ذا الحديث شمل صنفين من أعمال العباد ، أجمع المسلمون على مثوبتهما وعظم آثارهما والانتفاع بهما [illegible] فما أجدره بجزء مستقل . والله المستعان على قول الحق واتباع سبيل المؤمنين ، ولا حول ولا قوة إلا به ؟

طه محمد الساكت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تشريع الزكاة

كما عنى الإسلام بتطهير العقيدة من شوائب الشرك وإخلاص العبادة لله موجد هذا الكون ، عنى أيضاً بتربية المجتمع وتنشئته تنشئة تدعو إلى ارتباطه برباط المحبة وتوثيق الصلة بين أفراده وشعوبه بصلة الأخوة ، وقد ظهرت آثار عناية الإسلام بهذا المجتمع فى كثير من تشريعاته الحكيمة وفى مقدمتها تشريع الزكاة الذى فرض للفقراء نصيبا مقدرا فى أموال الأغنياء ، وحاجة الفقراء إلى هذه الزكاة قد تكون ماحة إذ يكون الحرمان شديداً بحيث لايتذوق الفقير حلاوة اللذيذ من الطعام ، ولا يلبس مايعتمد عليه فى دفع وطأة البرد القاسى ، وقد تكون حاجته أشد وأشد حينما تتكاثر عليه المطالب لتربية أولاده ، أوعلاجهم ومحاربة أمراضه وأمراضهم ، فإذا ما أمده الغنى بما يستطيع من المساعدة بما فرض الله فى ماله ، أو زاده على ذلك ، شعر الفقير بهذا العطف والحنو والعناية بشأنه واهتمام أخيه الغنى بإصلاح حاله ، وبذلك يفيض قلبه حبا للغنى وإخلاصا ، ويتبادل معه المعونة الصادقة فيما يكون بينهما من عمل ، ويسود الوفاق جميع الشئون التى تربط بينهما ، فيرقى المجتمع ويتضاعف الإنتاج ويرتفع مستوى المعيشة لجميع أبناء الشعب ويعمهم السرور والسعادة .

فبالزكاة يمكن أن يدرأ كثير من الشرور عن المجتمع بجميع طبقاته ، وبها تمكن المساهمة فى تسليح جيش قوى أو إقامة قواعد محصنة لدرء الخطر عن الوطن إذا ما جمعت حصيلتها أو كمية كبيرة من حصيلتها .

لمثل هذا شرعت الزكاة التى هى إحدى دعائم الإسلام الخمس والتى هى فرض عينى من فروضه ، وكانت فرضيتها فى السنة الثانية من الهجرة ، وثبتت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وصارت معلومة من الدين بالضرورة ، فمن أنكر وجوب الزكاة وكان ممن يخفى على مثله حكمها ، كأن كان حديث عهد بالإسلام ، أو نشأ بعيداً عن المسلمين عرفناه وجوبها وأخذناها منه إن كان عنده مال .

أما من أنكر وجوب الزكاة وكان ممن لايخفى عليه حكمها كمسلم عاش بين المسلمين ثم منع الزكاة جحدا لوجوبها ، صار بهذا كافرا تجرى عليه أحكام المرتدين فيستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما مانع الزكاة بخلا بها مع اعترافه بوجوبها فإنه لا يكون كافرا ولكنه عاص يعزر وتؤخذ منه قهرا ، هـــذا إذا لم يكن له منعة وشوكة ، أما إذا منع الزكاة اعتمادا على منعته وشوكته ، فإنه يجب على الإمام والمسلمين قتاله حتى تزول منعته ويذعن للإمام ويؤدي الزكاة ؛ لما ثبت في الصحيحين أن الصحابة حينما منع الزكاة من منعها من المسلمين في أول عهد أبي بكر ، اختلفوا في حكم قتال مانعي الزكاة ، وكان رأي أبي بكر رضي الله عنه أنه يجب قتالهم ، وأقام للناس الدليل على وجوب قتالهم ، فلما ظهر لهم الدليل واقتنعوا بحجته ووافقوه في الرأي ، وقاتلوا معه مانعي الزكاة حتى زالت شوكتهم وأذعنوا للإمام وأدوا الزكاة ، وصار ذلك إجماعا للمسلمين .

ويعتمد وجوب الزكاة أول ما يعتمد على ملكية المال الذي تجب فيه ، والمال أحد الكليات الخمس التي أجمعت الأديان على حرمتها ووجوب المحافظة عليها ، وهي : النفس والمال والعرض والدين والعقل ، فمن قتل دون شيء من هذه الخمس فهو شهيد كما صرحت بذلك الأحاديث .

فالملكية الفردية محترمة في دين الإسلام وسائر الأديان ، وكتاب الله تعالى قد أضاف الأموال إلى ذويها في آيات بلغت من الكثرة حدا كبيرا « خذ من أموالهم صدقة » ، « فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم » ، « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » ، « جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم » ، « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا » ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيض بنسبة المال إلى صاحبه ، وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال في خطبته على رءوس الأشهاد : ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ، ألا هل بلغت اللهم اشهد .

وقد ظهر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف في أنه هل يجب على المسلم إنفاق كل ما فضل من ماله عن حاجته ، فعن أبي ذر يجب على المسلم ذلك وخالفه في ذلك سائر أصحاب رسول الله ، ومنشأ ذلك الخلاف قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، فمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال : إن قوله والذين يكنزون الذهب خاص بالأحبار والرهبان المتقدم ذكرهم ، وكان هذا رأى معاوية حينما شجر بينه وبين أبى ذر الخلاف فى الشام ، وجمهور أصحاب رسول الله يرى أن الآية عامة تشمل المسلمين ، ولهذا أشفقوا منها أول ما نزلت ثم زال خوفهم .

أخرج ابن أبى شيبة فى مسنده وأبو داود وأبو يعلى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة » كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا أن يبقى بعده مالا لولده فقال : عمر أنا أفرج عنكم فانطلق وتبعه ثوبان فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم ، وإنما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم فكبر عمر رضى الله عنه .

وروى مرفوعا عن أبى هريرة (إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك) . وروى موقوفا على ابن عباس وعمر وابن عمر وجابر : أى مال أديت زكاته فليس بكنز ، ومثل هذا لا يكون من قبيل الرأى فهو بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن ابن عمر إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال ثم قال : ما أبالى لو كان عندى مثل أحد ذهبا أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله .

قال ابن عبد البر وردت عن أبى ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز يذم فاعله ، وأن آية الوعيد نزلت فى ذلك ، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على ما نعى الزكاة وأصح ما تمسكوا به حديث طلحة وغيره ـ ونصه عند البخارى ومسلم عن طلحة (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات فى اليوم والليلة . فقال : هل على غيرهن ؟ قال : لا إلا أن تطوع . وصيام شهر رمضان . فقال : هل على غيره ؟ قال : لا إلا أن تطوع . وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال : هل على غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع . قال فأدبر الرجل وهو يقول والله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق) قال: ابن عبد البر وإن نصوص الكتاب تأمر بالقصد والاعتدال فى الإنفاق، لا بإنفاق كل المال من ذلك قوله تعالى: « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »، وقوله: « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ».

ومن الأدلة أيضا على رأى جمهور أصحاب رسول الله حديث سعد بن أبى وقاص عند مسلم وغيره ونصه عن عامر بن سعد عن أبيه قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت. فقلت: يا رسول الله بلغنى ماترى من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى واحدة. أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: لا. قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا. الثلث، والثلث كثير. إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس.

فما تقدم من نصوص الكتاب والسنة أدلة قوية على أنه لا يجب على المسلم إنفاق مافضل عن حاجته من المال، ولعل ذلك إنما كان أول الأمر كما صرح بذلك ابن عمر فيما ذكر عنه سابقا، وقد نسخ هذا بتشريع الميراث، فهو كما نص على ذلك فى الحديث إنما يكون فى الأموال التى تبقى بعد موت ذويها، وقد أشار الحديث إلى أن الزكاة طهرة للمال فكل مال أديت زكاته ليس بكنز كما وردت بذلك النصوص وكما قرره العلماء.

فالكنز هو المال المجموع الذى لم تؤد زكاته وقد توعد الله فاعل ذلك بقوله: « يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنباه وجبهته وظهره.

وروى البخارى عن أبى هريرة مرفوعا « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يقول: (أنا مالك أنا كنزك وقد ذكر العلماء أن أبا ذر أخذ بالعزيمة التى وردت أولا بوجوب إنفاق مافضل عن الحاجة ولم تبلغه الرخصة فبقى على مذهبه، فقد أخرج أحمد والطبرانى عن شداد بن أوس قال كان أبو ذر رضى الله عنه يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر فيه الشدة ثم يخرج إلى باديته ثم يرخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، فيحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الأمر الرخصة فلا يسمعها أبو ذر فيأخذ أبو ذر بالأمر الأول الذى سمع قبل ذلك اه، والسبب الحقيقى لتشدده استعداده الفطرى لتحمل الشدائد والأخذ بالعزائم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإنفاق ما فضل عن الحاجة عزيمة الخواص وليس هو المشروع لكل الناس ، فإن نصوص الكتاب والسنة تنافى وجوب إنفاق كل ما يملك المرء كما تقدم ، ولعله من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين كما يذكر ذلك العلماء .

وسواء قلنا إن شريعة الإسلام رأسمالية محضة ، أم قلنا إنها رأسمالية اشتراكية فإنها على كلتا الحالين قد جعلت للفقراء حقا مقدرا فى مال الأغنياء : هو الزكاة .

والشرط الأساسى لوجوب الزكاة أن يكون المال الذى تجب فيه مملوكا لمن تجب عليه ملكا تاما . فلا تجب الزكاة فيما ملك قبل قبضه كمؤخر صداق المرأة ، وكالمبيع قبل القبض ، وكالأجرة قبل مضى مدة الإجارة .

والمال الذى تجب فيه الزكاة أربعة أنواع : الذهب والفضة ، والزروع والثمار ، والنعم : الإبل والبقر والغنم ، وعروض التجارة من أى مال .

وهذه الأموال قسمان : أموال ظاهرة وهى الزروع والثمار والأنعام ، وأموال باطنة وهى الذهب والفضة وعروض التجارة ، وكان الإمام يبعث السعاة لجمع الزكاة فى المحرم من كل عام ، وكانوا يجمعونها من الأموال الظاهرة والباطنة إلى زمن الخليفة عثمان حيث كانت تجمع من الأموال الظاهرة فقط ، أما الأموال الباطنة فقد جعل ملاكها وكلاء عنه فى أخذ زكاتها من أموالهم وصرفها إلى مستحقيها ، وصار الأمر من حينئذ على هذا . ومذاهب الأئمة لا توجب دفع الزكاة إلى الإمام إلا فى الأموال الظاهرة دون الباطنة ، وجعلوا من الباطنة زكاة الفطر .

وهل يشترط لوجوب الزكاة البلوغ والعقل : المالكية والشافعية والحنابلة لا يشترطون ذلك فتجب الزكاة فى مال الصبى والمجنون ، وقال أبو وائل وسعيد بن جبير والحسن البصرى والنخعى لا زكاة فى مال الصبى والمجنون مطلقا . وقال أبو حنيفة لا زكاة فى مالهما إلا المعشرات من الزروع والثمار ، ونرى الأخذ برأى من لا يوجب الزكاة على الصبى والمجنون ؛ لأنهما ليسا من أهل التكليف ؛ ولأنها عبادة محضة وليسا مخاطبين بها كالصلاة والصيام ، فلا زكاة فى أموال القصر المودعة فى المصارف بمعرفة المجالس الحسبية حتى لا تستهلك أو يستهلك جزء كبير منها ، وفى الجزء القادم إن شاء الله بقية لأحكام الزكاة .

عبد الرحمن عيسى
مدير التفتيش بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمة ورسالة

جل الأمم الآن إن لم يكن كلها يسعى لرفع مستوى معيشته ، وتكثير الضرورات والمرفهات لمختلف الطبقات . .

وهذا شيء حسن . فمن ذا الذى يكره العافية والسعة والاسترواح ؟ .

إن كدح الناس للحصول على مزيد من خير الله ، والاستمكان فى أرضه عمل مفهوم البواعث . إلا أننا لا نرضى لأبناء آدم ، ولا يرضى عاقل لنفسه أن تكون الغاية القصوى من الحياة هى البطن الملآن . والبدن المزدان ، فذلك هدف حيوانى لا إنسانى .

ووقوف الحكومات والشعوب عنده هبوط بقيمة العالم ورسالته ، ونزول عن المكانة التى أرادها الله له ، وذهول عن الحق الذى يقول لنا فى استنكار . .

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق » .

إن للإنسانية غاية أرقى من توفير الخبز لآكليه !

غاية ترادف النبيون لتوضيحها . ثم جاء عميدهم الخاتم ، صاحب الرسالة العظمى ، ليصنع أمة تمثلها وتقوم عليها ، وترفع علمها فى الآفاق ...

وظيفة هذه الأمة بين شتى الأجناس والأوطان أن تدعم الخير وأن تعلى صوت المعروف وأن تحمى شارة الإيمان ، وأن تجعل من كيانها موئلا للفضائل . . . !

وأن تكره الآثام وتتنكر لفاعليها ، وتعقب على أخطائهم وخطاياهم بالتفنيد والرد . .

وظيفة هذه الأمة [illegible] بالإشعاع الهادى كى يهتدى به السارون فى ظلمات البر والبحر . .

والأمة التى تحمل هذا العبء أو تتولى هذا المنصب أو ترشح لهذا الشرف هى الأمة الإسلامية . .

وقد أوضح الله ذلك فى كتابه العزيز « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . وقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وبين أن منزلة الناس أجمعين من هذه الأمة كمنزلة هذه الأمة من رسولها . .

فكما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله معلما ومبشراً ونذيرا ، وكما أخرج هذه الأمة بإذن الله من العمى إلى الهدى . فعلى أتباعه أن يشيعوا الحق الذى شرفوا به ؛ وأن ينشروا الرسالة التى نزلت بينهم ، وأن يكونوا جنراً تعبر إليه الهداية لتعم أرجاء الأرض « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » والسلف الصالح الذى تلقى آيات القرآن وسعد بصيحة النبي صلى الله عليه وسلم فهم وظيفته على هذا النحو : فهم أن أداء الدعوة واجب ، وأن إبلاغ رسالات الله حق ، وأن حبس أنوار الإسلام فى حيز من الأرض جريمة ...

وعلى ذلك الأساس تكونت الأمة الإسلامية تكونا متميز الطبيعة والحركة ، مستبين المبنى والمعنى ، تزدوج مثلها العليا مع قواها المادية ، كما يزدوج الروح والجسد ، لا يتصور بينهما فكاك .

* * *

وشعور المسلمين بفرائض الإسلام عليهم جعل نشاطهم الأدبى يتخذ عدة طرائق ، تنتهى كلها بخدمة دينهم فى الداخل والخارج :

(ا) فتعلم الإسلام وتعليمه أحيا ألوف المدارس لحفظ القرآن وتعهده ولفقه السنة ، وصيانة كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من توجيهات عامة .

(ب) واستدعى ذلك نهضة شاملة لآداب اللغة العربية وقواعدها حتى ساوت علوم اللغة علوم الدين فى درجتها ، ولا عجب فإن الوسائل والمقاصد متلازمة الوجود ، والإسلام إذا ضمرت العربية وذبلت فهو مهدد بأفتك الأخطار ، وسترى مصداق ذلك فيما نقصه عليك بعد حين .

(ج) استبحرت المعارف التشريعية ، وتكونت مذاهب فى صور العبادات وقوانين المعاملات من أقوى وأزهى ما عرفت الدنيا .

(د) انتشرت دراسات الخلق والسلوك مع ما يسمى « بالتصوف » وشاعت بين العامة والخاصة شيوعا واسع النطاق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(هـ) تطوع المسلمون من تلقاء أنفسهم للمحافظة على المجتمع ضد السيئات والمناكر: إذ أن طبيعة الإسلام تلزم كل مؤمن بإقرار المعروف ومطاردة المنكر. والقوى الشعبية لا السلطات الحكومية هى التى تولت حياطة الأمة من شرور كثيرة. وإن كانت الحكومات - من الناحية التنفيذية - هى صاحبة الاختصاص. وقيام الجماهير فى الداخل بذلك الواجب أبقى شعائر الإسلام حية فى المجتمع، وجعل أمام العصاة والمنحلين حواجز مرهبة، وفسح المجال أمام السطوة الأدبية على الضمائر والعواطف.

وكانت السعادة العظمى لأى مسلم أن يشرح صدر إنسان للإسلام، وأن ينقله من كفره القديم إلى رحاب هذا الدين.

والمسلم الذى يوفق إلى إدخال شخص ما فى الإسلام تراه مبتهج النفس، بادى البشر، متألق الجبين.

وتتعاون الجماعة المؤمنة غالبا على كفالة القادم الجديد، وتوثيق الأواصر العاطفية معه.

* * *

وقد امتد الإسلام إلى أغلب البقاع المعروفة فى العالم، ونشبت جذوره بألوف مؤلفة من المدائن والقرى فى آسيا وإفريقيا وأوروبا.

وتراخت العصور عليه وهو ينساح فى أرض الله بقوة رائعة، ليس لها مدد إلا حماس المؤمنين، وقدرتهم على الإقناع بالحق والمقاومة للباطل.

وقد عرضت للأمة الإسلامية فترات انهزمت فيها أمام أعدائها.

أو بتعبير أدق، انهزمت فيها أمام نداء الواجب الذى يملى عليها ضرورات الوفاء لرسالتها، فكان تفريطها فى جنب الدعوة - التى زكت بها سببا فى ذهاب ريحها وانهيار مجدها، لقد انحلت الخلافة التركية الأخيرة عن نيف وثلاثين دولة مبعثرة فى قارات الأرض ينتسب أغلبها إلى الإسلام انتسابا اسميا، وتضطرب دعوته فى أنحائها اضطراباً بعيد المدى، يحتاج شرحه إلى قليل من الإسهاب.

يا عجبا، كيف تبددت هذه القوة العظيمة. وأقفرت تلك المعالم النضرة؟

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

الواقع أن ذلك الانكسار لم يقع بغتة، ولم تلتق أسبابه فجأة.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن الأمة الإسلامية ـ كما قلنا ـ صاحبة رسالة ، وحاملة دعوة ، ووريثة وحي يجب أن تبلغه بالعلم ، وأن تظهره بالعمل .

بيد أنها نسيت ذلك أو تناسته . وضعف أخذها به ، ووفاؤها له على اختلاف الليل والنهار . واطرد هذا التفريط أولا فى شكل متواليات حسابية ، وأخيراً فى شكل متضاعفات هندسية . وقد تقفه بين الحين والحين نهضات المصلحين . وصيحات المذكرين ، إلا أن الأمر عز على العلاج فى العصور الأخيرة فلم تستفق هذه الأمة إلا والأجانب قد أحاطوا بها ، وأنشبوا أظافيرهم فى أعناقها ، وشرعوا فى الإجهاز عليها .

ولولا عناية من السماء مسعفة لكانت اليوم تحت أطباق التراب .

وظهرت بوادر الانفصال بين الأمة ورسالتها فى أكثر من ميدان .

ففى حقل التعليم ذبلت الدراسات الإسلامية ، ونبتت خلالها أشواك كثيرة .

وفشت الظنون والخرافات والإسرائيليات والنصرانيات والإغريقيات ، حتى لكأن حصاد هذه الدراسات طين لا قمح ، وحسك لا تمر ! .

والعلم الإسلامى اليوم متوار فى معاهد خاصة ، بعد ما عزل عن الحياة العامة ، وساء تقويمه ، وقل التعويل عليه .

وفى حقل التشريع ساد القحط كل ناحية ، وعجز الفقه سنين عددا أن يحكم المعاملات المتجددة ، وأن يضبطها باسم الله فى مجراها العتيد .

ووقف الاجتهاد عند صور انقضى زمانها وأهلوها .

فلما زحفت الحياة الحديثة كان من الشلل بحيث لم تقم له حركة ، أو يحسب له حساب وهو الآن محبوس فى بعض قضايا الأسرة ، معزول أتم العزل عما وراءها من نشاط اجتماعى ، محلى أو دولى ! .

وتبع هوان المعرفة الدينية انسحاب يكاد يكون شاملا من آفاق الحياة كلها ، وتضعضعت قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أمام مدنية وافدة عارمة تحل الحرام وتحرم الحلال . . .

وتوقف ـ بداهة ـ سير الدعوة الإسلامية فى الأرض ، وجهادها القديم لإدخال الناس أفواجا فى دين الله . . . وكيف لا تتوقف وهى تكافح لتحفظ بحياتها فحسب أمام سياسات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ماكرة وعداوات فاجرة . ويمكننا أن نومئ إلى عدة أمور . هى فى نظرنا مظهر لتفريط المسلمين التاريخى فى رسالتهم ، وتقصيرهم فى خدمتها :

١ — ضعف أجهزة الدعاية الخارجية للإسلام ، أو انعدامها ، وترك تعليم الأجانب لجهود الأفراد ونشاطهم الخاص .

ومعروف أن انتشار الإسلام فى أواسط إفريقيا ، وأغلب آسيا يرجع إلى ذلك الجهاد الفردى المسالم الدءوب .

وهو جهاد لم ترسمه خطط منظمة ، ولم تستفد من أرباحه عيون يقظة ، بل لم تحرس ثمراته قوى معدة .

والسبب فى هذا التقصير المعيب ، أن الدول الإسلامية كثيراً ما شغلتها منافع خاصة أو سياسات قصيرة النظر ، بل كثيراً ما قامت على أنقاض المثل الدينية الرفيعة .

وهذا الاعتلال فى أداة الحكم أضر بسير الإسلام فى أرجاء الأرض أبلغ الضرر ، والواقع ، أن كثيراً من الحكومات الإسلامية فى التاريخ القديم ، كانت عقبات فى طريق انطلاق الدعاة لأداء واجبهم على نحو واضح ونهج مرسوم .

٢ — مع أن أمما كثيرة عربها الإسلام ومحا عنها خصائصها اللغوية والثقافية القديمة ، فإن العربية لم تلق ما ينبغى لها من رعاية وحفاوة ، خصوصا فنون الأدب المختلفة . فقد غلبت العجمة على عصور طويلة ، واصطبغت بها أداة الحكم حينا من الدهر ، وتولى المناصب الكبرى أناس عاطلون من حلية البيان وسلامة المنطق ، وأوت الكتابة والبلاغة والشعر إلى طبقات من المحترفين والمرتزقة .

ثم انتهى الأمر فى القرون الأخيرة إلى أن علماء الإسلام - وفيهم جمهرة من خريجى الأزهر - كانوا غرباء على الأدب ، بل كانت حاستهم البيانية ميتة .

وغريب أن تكون معجزة الإسلام الكبرى آية بلاغية ، وأن تكون اللغة العربية أساس هذا الدين وترجمان عباداته ، ومع ذلك تهون إلى هذا الحد .

والواجب أن تعود للأدب مكانته ، وأن تتضافر الجهود على تقوية مادته ، وتجلية رونقه ، وإمداده بأسباب النماء والازدهار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٣ — هناك خلافات علمية ، ومذهبية ، حفرت فجوات عميقة بين المسلمين ، وقطعتهم فى الأرض أمما متدابرة ، وهم فى واقع أمرهم وطبيعة دينهم أمة واحدة .

والدارس لهذه الخلافات يتكشف له على عجل أنها افتعلت افتعالا ، وبولغ فى استبقاء آثارها وتفتيق جراحاتها ، ونقل حزازات شخصية أو نزعات قبلية إلى ميدان العقيدة والتشريع ، وذاك ما لا يجوز بقاؤه إن جاز ابتداؤه .

وكلما زادت حصيلة العلم الدينى ، وتوفرت مواد الدراسة الصحيحة انكمشت هذه الخلافات ، واتحدت الأمة الإسلامية منهجا وهدفا .

ولذلك نحن نرى التقريب بين هذه المذاهب فرضا لا بد من أدائه ، وأخذ الأجيال الجديدة به ؛ كما نرى ضرورة إحسان النظر فى دراسة التاريخ الإسلامى ، وتنقيته من الشوائب التى تعكر صفاءه .

٤ — الأمة صاحبة الرسالة لا تنسى وظيفتها الاجتماعية فى تصرفاتها العالمية والمحلية على سواء :

بل هى تستصحب أهدافها الروحية والثقافية فى علاقاتها القريبة والبعيدة ، وتؤكد شخصيتها المعنوية فى كل اتجاه .

وتسخر أدواتها الخاصة فى بلوغ غايتها كما يسخر الجسم أجهزته ومشاعره فى تيسير مآربه ، ويقتضى ذلك أن تساق وجوه شتى من النشاط العام لخدمة الإسلام وجمع القلوب عليه .

وإذا كان الله جل شأنه قد جعل لتأليف القلوب سهما من الزكاة المفروضة فما ذلك إلا رمز للتوصل بضروب البر المختلفة كى يقبل الناس على الدين : وكى تدرك العامة أنه دين يعطى ولا يأخذ ، ويبذل الفضول للمحتاجين ، ولا يرزؤهم شيئا .

وبعض الأديان الآن تدس عقائدها المعلولة وسط مساعدات كثيرة .

وكان حريا بالمسلمين أن يسبقوا إلى نشر الحق وإلى تربيته فى القلوب بألوان العون المادى والأدبى التى كلفوا بها .

بيد أنهم للأسف تركوا الحق يخدم نفسه بنفسه ، وينصر قضاياه اعتمادا على ما فيها من صواب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونسوا أن تلفيق الشبه وتجميع الحيل يمكن أن يصد الجماهير عن الإيمان ، ويعلق أبصارهم بخدع لا قيمة لها .

وقد كان ذلك من أسباب انحسار المد الإسلامى فى بعض الأقطار .

إن قصة تفريطنا فى رسالة الإسلام طويلة الفصول ضافية الذيول ، ولسنا بصدد سردها وإنما نشير إلى نقاط محدودة منها — مهيبين بأولى النهى ألا يجروا أخطاء الماضى وهم يمهدون لمستقبل مرموق .

وللإسلام أعداء لا تهدأ لهم ثره ، ولا ينكسر لهم ضغن ، وهم ينشئون الأذى إنشاء ، فهل نعينهم على أنفسنا باستدامة الأخطاء ؟

إن طماعية خصومنا فى تحطيم ديننا ، وفى صرفنا عنه أكدتها ألوف الدلالات والأعمال !

وقد استغل الاستعمار ما ظفر به من غلب ، فزادت جهوده لكى ينسى المسلمون أن لهم دعوة واجبة الأداء . بل لكى ينسى المسلمون أن لهم دينا واجب الاتباع .

إنه يريد أن يضربوا صفحا عن القرون التى خلت ، والتاريخ الذى مضى ، والحضارة التى أشرقت لها ظلمات الدنيا دهرا طويلا . . . ! !

ومن أخبث المؤامرات لصرف المسلمين عن دينهم ، الدعوة إلى تغيير الكتابة العربية . إما إلى الحروف اللاتينية كما فعلت تركيا بعد ارتداد حكامها ، وإما إلى حروف أخرى تحل مكان هذه الحروف التى عرفناها وعرفها آباؤنا وخطوا بها ألوف الألوف من المجلدات والرسائل . . ولم ذلك ؟ .

قال الخبثاء : للتفاوت القائم بين لغة النطق وطريقة الكتابة .

وهذا أقبح تعليل يمكن أن يذكره إنسان دارس للغات .

فإن التفاوت القائم بين مايكتب وما ينطق هو أقل مايكون فى العربية ، وأسوأ مايكون فى الإنجليزية والفرنسية . . .

إن صيغ الأفعال الفرنسية ـ وعددها ثمانية عشر فعلا ـ تحمل كل صيغة منها عدداً من الحروف الميتة يبلغ الستة أحياناً ، تكتب ولا تنطق ، وتنتشر فى اللغة كلها كما تنتشر العثرات فى طريق ردىء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإلى جانب هـــذا فإن الحروف الساكنة تتجمع مثنى وثلاث فى أوائل الكلمات وأواخرها بصورة مزرية لا يمكن تعليلها . ولا يمكن أن يرتبط بها معنى محترم . أوغير محترم وإثقالها للذهن فى علم الإملاء لا شك فيها .

ويطرد كذلك فى هذه اللغة إغفال النطق بعلامات الجمع فى الأدوات والأسماء ، كما يطرد النطق بحروف كثيرة على غير ما تكتب به .

ومع هذه المقابح فاللغة الفرنسية فى نظر البعض أيسر من اللغة العربية ، ويجب أن نحول لغتنا .

لتتوافق لغة الكتابة مع ما ينطق . .

ونحن لا ندرى ما يقال لهذا الجور ، ولا مايوصف به هذا التبجح ! !

والغرض من هذا النشاط ظاهر . وهو فصل مسلمى اليوم عن تاريخهم الروحى والثقافى بعد إلقاء ستار كثيف على ماضيهم العلمى كله . . .

وفى هذا الميدان نفسه يعمل آخرون من ذوى الثقافة الانجليزية . واللغة الانجليزية من ناحية الكتابة والإملاء أحط من زميلتها الفرنسية ، ولولا قوة أهلها ما انتشرت . .

ولكن التبشير الاستعمارى يغطى كل عيوبها ، ويطيل الألسنة فى قدح لغتنا وذم قواعدها وإهانة حروفها . . .

والغرض ؟ هو حفر هوة غائرة بين ماضينا الإسلامى وحاضرنا .

بين ثقافة القرآن وروحه ، وهجوم الغرب الأخير المفعم بالمفاتن والخوادع . . . ! !

وهاك ما نشرته إحدى الصحف اليومية :

قالت الصحيفه : إن الدنيا تتطور وهى تجرى تحاول أن تلحق بالمستقبل . .

والمستقبل عبارة عن سرعة وصواريخ ، سرعة على الأرض ، وصواريخ تندفع إلى الشمس ، سرعة حتى فى أسلوب العرض والقراءة والشراء .

اختزال لكل التفاصيل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فالصيغة التلغرافية هى المفهومة المقررة الآن .

إننا نتسابق مع الزمن نحاول الجرى مع عقرب الثوانى قبل عقرب الدقائق . . .

وتسأل أيها القارئ : ماذا بعد هذه الصيحات المفتعلة كلها ؟ فإذا الاقتراح الذى يرحب به الكاتب ويروج له : أن المجمع اللغوى يفكر فى اختصار حروف لغة سيبويه ! ! !

إن الدنيا تجرى وتلهث من شدة الجرى كما يقول الكاتب ، فيجب أن نغير حروف اللغة العربية وحدها .

أما اللغتان الانجليزية والفرنسية ، وسائر اللغات الأخرى فإن الدنيا بالنسبة لها واقفة ؛ إنها لغات مقدسة القواعد أو لعلها لغات سبقت الدنيا الجارية ! !

إنى لأستغرب الصفاقة التى كست هذه الوجوه . . . !

* * *

ونعود إلى موضوعنا . .

إن أمتنا لم تكن ذنباً لإحدى « الامبراطوريات » التى ظهرت فى التاريخ ، ولن تكون ذنباً لإحدى الجبهات القائمة الآن فى العالم .

إن أمتنا أمة ذات رسالة لا يجوز أن تتخلى عنها ، ولا أن تجهل قيمتها ، ولا أن تتقهقر عن حملها .

وهذه الرسالة تثمر الخير لأصحابها ، وللناس طرا .

إنها رسالة الحق والسلم والعدالة .

إن الإسلام يوطد مكانة الإنسان فى الأرض إذ يحسن صلته بالسماء ، وهو إذ يعد بالآجلة ؛ فلكى يصلح هذه الدار العاجلة ، ويضمن ما بعدها « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » .

وإذا كانت غاية العالم فى إرشادات ربه لا تنتهى . فإن بقاء أمتنا وبقاءها معها ضرورة إنسانية ملحة .

ومن ثم ، وجب أن تدور جميع أجهزتنا العاملة لتحقق هذه الغاية ، ولتمضى قدما فى تلك السبيل ، سبيل الإسلام الحنيف ، ودعوته الجليلة ؟

محمد الغزالى

مدير التفتيش بوزارة الأوقاف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منهج السلوك فى الاسلام

١ — تهذيب سلوك الأفراد وتوجيههم نحو المثل الأعلى هو الأسلوب الصحيح لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدور خطير فى الحياة وتسهم بنصيب كبير فى تزويدها بما هو أنفع وأرشد .

والدين بما له من سلطان على القلوب والنفوس وتأثير على المشاعر والأحاسيس وبما وضع من خطط عملية وتوجيهات حكيمة يستطيع أن يحقق هذه الغاية ويبلغ هذا القصد دون تعثر أو انحراف .

والدين فى جملته وتفصيله ماهو إلا إرشاد لما يجب أن يكون عليه الإنسان ليأخذ من الكمال بحظ وافر فى هذه الحياة وليعد نفسه لجوار ذى الجلال فى حياة أرقى وأبقى .

وقد جاء الإسلام ليضع المنهج الرشيد فى هذه الكلمات المباركة « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده » .

فالعبادة وفعل الخير والجهاد فى الله هى دستور المسلم ورسالته فى الحياة .

٢ — وعبادة الله الواحد تنتظم إفراده بالحب والتوقير ، وإخلاص العمل له دون التفات إلى غيره ، والتوكل عليه فيما دق وجل من الأمور ، وإسلام الوجه إليه والرضا بقضائه وقدره ، وتعظيم أمره ونهيه ، وبذل النفس والمال ابتغاء وجهه الأعلى .

والعبادة على هذا النحو لا تتم إلا بفقه فى دين الله ومجاهدة للنفس وحملها على الفضائل ؛ حتى تزكو وتسمو وترتفع عن الدنايا والخطايا .

وهذا الضرب من الرياضة الروحية يضفى على الحياة ثوب الجمال ، ويظلها بظلال المحبة والسلام ؛ فتنقطع الخصومة ، ويرتفع النزاع ، ويحل الوفاق محل الشقاق ، ويتقارب الناس ويتآلفوا ، ويسعى الفرد لخير الجماعة ، وتحرص الجماعة على إصلاح الفرد وإسعاده ، ومن ثم تبدو الحكمة واضحة فى جعل العبادة غاية الحياة ، وفى أن الله لم يخل جيلا من الأجيال ولا أمة من الأمم من نذير يجهر فيهم باسم الله « لا إله إلا أنا فاتقون » . كما تبدو فى أن هذه الدعوة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنما كانت تأتى بعد فساد الضمير الإنسانى ، وبعد أن تتحطم كل القيم العليا فى نفس الإنسان ، وأنه فى حاجة إلى معجزة تعيده إلى فطرته السليمة ؛ ليصلح لعمارة الأرض وخلافة الله فيها .

٣ — والتعاليم الإسلامية تستهدف تحقيق الخلق العالى . والأدب الرفيع ، وإشاعة الخير والرحمة والبر والإحسان ، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ومن أجل هذا المعنى نجد الارتباط الوثيق بين عقيدة الإسلام وتشريعاته ، وبين هذا المعنى ، فكلها وسائل لصقل النفس وتهذيبها وإقامتها على الصراط السوى .

فالعقيدة من إيمان بالله وتقديس له من شأنها أن توقظ حواس الجد ، وتربى ملكة المراقبة ، وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرافها ، وتنأى بالإنسان عن محقرات الأمور وسفاسف الأعمال .

والله سبحانه هو الكمال المطلق والرحمة الواسعة ، ولا يدخل فى حظيرة قدسه إلا من تخلق بأخلاقه واتصف بصفاته ، وفى الحديث : « تخلقوا بأخلاق الله » .

وجميع العبادات والمعاملات وكل أوامر الله ونواهيه إنما تتجه هذا الاتجاه ، وتدور فى هذا الفلك ، « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » .

فالآية تقرر أن الغاية من إنزال الكتب وإرسال الرسل إقامة الحق والعدل فى الأرض ، ولا يدع الإسلام أى جانب من جوانب الخلق الحسن إلا ويدعو إليه بقوة ، ويحث عليه فى حماس .

ومقياس الإيمان الخلق . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم » . وقد يجهد المرء نفسه فى عبادة يستمد منها دوام الثواب بحيث لا ينقطع لا فى ليل ولا فى نهار ، فيديم صيام النهار فلا يفطر ، وقيام الليل فلا يفتر ، ولا ريب فى أن المواظبة على هذا ، والمثابرة عليه من عمل الصديقين . وليس كل إنسان بقادر عليه ولا مستطيع له . ولكن الإسلام يفتح باب هذا الخير من طريق الخلق فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

وإنما يثقل ميزان الفرد أو يخف حسب قيمته الخلقية . يقول الرسول صلوات الله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وسلامه عليه : « ما من شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذى » .

وتفاضل الناس واقتسامهم المنازل والدرجات عند الله بحسب الحالة الخلقية التى وصلوا إليها ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه » .

والخلق إنما يصدر عن نفس سمحة وضمير حى ، فكما يبدو حسنه فى الأمر الكبير ، يتجلى كذلك فى الأمر الذى يبدو وكأنه لاشأن له .

فالإحسان إلى المسىء خلق حسن ، والابتسامة فى وجه الصديق خلق حسن كذلك ، وان النفس الفاضلة التى تنطلق على سجيتها لا تفرق بين هـذا وذاك . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طليق » .

ونار الله الموقدة إنما يطفئها نصف تمرة أو كلمة طيبة ؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

وغفران الله يغمر المذنب الدنس إذا تفجر فى قلبه ينبع البر والرحمة ؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش ، إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به » وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين .

والإحسان هو غاية من الغايات التى يريد الإسلام أن يجعلها جزءا من الطبيعة الإنسانية ؛ بحيث يصدر الإنسان عنها فى كل ما يأتى وما يذر . . يقول الرسول صلوات الله عليه : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

وإدخال السرور على الناس والاهتمام بضروراتهم من أقرب القربات ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال : « إدخال السرور على المؤمن ، قيل وما إدخال السرور على المؤمن ؟ قال سد جوعته وفك كربته وقضاء دينه » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهكذا يمضى الإسلام يضع الأسس الأدبية لحياة راقية رفيعة يمكن أن يكون عنوانها تلك الحكمة النبوية المشرقة « الناس عيال الله . وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » .

ولا يكتفى الإسلام بأن يطبع الناس على فضائل الأخلاق ومحاسن الآداب ، بل يفرض إلى جانب ذلك فريضة الجهاد من أجل استقرار هذه المبادئ والتمكين لها ؛ حتى تكون القاعدة العامة والعرف الذى تتقيد الجماعة به وتصدر عنه .

وهـذا الجهاد يقتضى التعب والنصب والعرق والدموع والصبر والمصابرة ؛ لأن تثبيت معالم الخير ، ومحاربة الانحراف والشذوذ ، والعادات السيئة والتقاليد الفاسدة ، والأهواء المضلة والعقائد الزائفة ، ليس بالأمر السهل الذى يتم بكلمة تذاع أو مقال ينشر .

ومن أجـل ذلك أطلق الشارع على محاربة المنكر أيا كان لونه ، ومحاولة تغييره لفظ الجهاد المأخوذ من الجهد والمشقة ، وجعل ثواب المجاهدين المغفرة والجنة .

وقد ورد فى الحديث أن الجهاد هو رهبانية المسلمين : ، أى أن حقيقة الرهبانية فى هذا الدين ليست فى اعتزال الناس ، ولا فى الانطواء على النفس ، ولا فى هجر ما أحل الله من الطيبات من الرزق ، وإنما هى تضحيه كريمة من أجل الحق ، واقتحام للشدائد فى سبيل الإنسانية ، وتحمل للتبعات الجسام إعلاء لكلمة الله .

فهى عمل إيجـابى ، ومخاطرة يتعرض الإنسان فيها لإتلاف نفسه وإزهاق روحه ؛ أداء للواجب وانتصاراً للحق .

هذه هى الخطة التى جاء بها الإسـلام ، والتى اتخذها سلفنا الصالح منهجا عمليا لسلوكهم ، فعاشوا فى ظلها سعداء آمنين . قدموا للدنيا أحسن ما عندهم وأخذوا منها أحسن ما فيها . ثم خلف من بعدهم خلف جردوا هذه الألفاظ من معانيها ، فبعثت ألفاظا ميتة لا تحيى نفسا ، ولا تنير قلبا ، ولا تهذب خلقا .

فهل للمسلمين أن يحيوا هذه الألفاظ بإحياء نفوسهم حتى يهبهم الله الجدة والحياة ؟

السيد سابق

مدير الثقافة بوزارة الأوقاف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الروحية الحديثة دعوة هدامة

-- ٢ --

كانت تربطنى بالأستاذ أحمد فهمى أبى الخير صلة قديمة إذ كان أحد أساتذتى الذين أحبهم وأحترمهم ممن تلقيت عليهم العلم فى مرحلة الدراسة الثانوية . وكان الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير قد رزق وقتذاك بمولود سماه (لبيب) بعد طول تشوف وانتظار وحرمان . ثم لم يلبث أن توفى ابنه فى عام ١٩٣٧ وهو بعد فى المهد فحزن عليه حزنا شديداً . ووقع فى يده وقتذاك كتاب انجليزى لأحد المشتغلين بالروحية والاتصال بالموتى وهو كتاب ON the Edge of the Etheric تأليف فندلاى J. Arther Eindlay فارتاحت نفسه الحزينة له ووجد فى دعاواه عزاء عن فقد ابنه وترجمه إلى العربية تحت عنوان : (على حافة العالم الأثيرى) . ودفعه إعجابه بما جاء فى الكتاب ، وتعلقه بأمل الاتصال بابنه ، إلى أن يبدأ فى ترسم طريقة مؤلفه . وقرأت الكتاب وقتذاك وكنت على صلة بمترجمه قبل وفاة ولده ، وشاركته الإعجاب به. فقد مهد لدعاواه بمقدمة بارعة فى الكشوف الطبيعية الحديثة التى حطمت الذرة واقتحمت ظلماتها وانتهت إلى أن العالم ليس إلا حركة ، فهو مجموعة من الموجات التى تختلف كما وكيفا ، والتى يمكن أن تتداخل ، ويمكن أيضا تحويلها وتغييرها من مادة إلى أخرى حسب ما اصطلحنا على تسميتها فى واقعنا الحسى المحدود . وقرن المؤلف ذلك بأن حواسنا لا تدرك من هذه الاهتزازات أو هذه الموجات إلا أقلها ، وأن ما تدركه لا يكاد يقاس فى تفاهته وضآلته إلى ما لا تستطيع إدراكه ، وأن بعض هذا الذى لا تدركه قد أمكن إدراكه بوسائل علمية مختلفة . ثم انتقل المؤلف من ذلك إلى أن للروح وجودا حقيقيا مستقلا ، وأنها تتداخل مع الجسم المادى ، المدرك بالحواس ، وتتخلله وتطابقه مطابقة تامة ، ولكنها فى اتجاهها خارجة عن المدى الذى تستجيب له حواسنا . وانتهى إلى أن عجز الحواس عن إدراكها لا يعنى إذن أنها غير موجودة ، أو أنها من غير الممكن إدراكها بوسيلة من الوسائل التى نتغلب بها على المجهول ، ونوسع بها المدى الضيق الذى تنحصر فيه حواسنا بحكم الفطرة التى فطرت عليها . وبهذه المقدمة البارعة التى تلبس ثوب العلم ، والتى تبعد عن المؤلف تهمة الشعوذة والمخادعة ، وتنفى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن الموضوع الذى يمهد له بهذا الكلام شبهة الخرافة ، استطاع المؤلف أن يستدرج القارىء لقصصه الغريبة فيما رواه عن تجاربه المزعومة وعما خلص إليه من صور فيما بعد الموت .

وكنت وقتذاك أجتاز طورا من أطوار الشباب التى يشتد فيها الولع باقتحام المجهول وخوض ظلماته والكشف عن جوانبه الغامضة ، وكنت شديد الولع باستكشاف ما وراء هذه الحياة الفارغة التى تكاد لتفاهة شأنها أن تكون وهما من الأوهام أو حلما من الأحلام القصيرة العابرة فى عمر طويل مديد ، لذلك وقع منى هذا الكتاب بعد أن فرغت منه موقع الإعجاب . وزادنى به إعجابا أن مؤلفه - وهو مسيحى - ينفى عن المسيح عليه السلام صفته الإلهية ويؤكد أنه بشر رسول على ما يؤكده الإسلام . وظننت أنى قد اهتديت للحل الذى الذى يريح من كل شك ويقطع دابر كل دعوة إلى المادية والإلحاد والكفر برسالات الله سبحانه وتعالى إلى رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، بل يصحح ما علق ببعض هذه الرسالات من بدع وضلالات .

وأقبلت على مشاركة الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير تجاربه فى الاتصال بالأرواح منذ بدء هذه التجارب ، بدأنا بطريقة الكوب والمنضدة ، فلم أجد فيها ما يبعث على الطمأنينة والإقناع . ثم لم يلبث أن دخل فى هذه التجارب ، ممرض فى مستشفى القصر العينى كان يدعى يس محمد عبد الله — ولا أدرى كيف عثر به الأستاذ أبو الخير — فتحولت الجلسات منذ ذلك الوقت إلى الاعتماد على وسيط الغيبوبة ، وانضم إلينا فى هذه المرحلة الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله ، وحاولنا أن نصل إلى مشاهدة شىء من حالات التجسد أو الصوت المباشر التى يطنطن بها دعاة الروحية ويرونها الدليل القاطع على صدق دعاواهم فلم ننجح فى شىء من ذلك ، واكتفى الأستاذ أبو الخير بتحويل الجلسات إلى ما يسميه أصحاب هذا الفن بالعلاج الروحى ، ولا يزال واقفا حيث تركته لم يحصل هو ولا أى دائرة أخرى فى مصر - على كثرة الدوائر التى تنتحل الصفة الروحية الآن - على حالة من حالات التجسد أو الصوت المباشر أو نقل المحمولات العينية أو غير هذا مما نقرأ عنه فى كتب الروحيين الأمريكيين والأمريكيه . والسبب فى ذلك هو أن هذه الحالات لا وجود لها فى حقيقة الأمر . فهى ألاعيب محكمة متقنة تقوم على حيل خفية بارعة ، وسيعلم القارىء من بعد أنها ترمى إلى هدم الأديان كلها - وفى مقدمتها المسيحية - على غير ما تكشف عنه النظرة الأولى الساذجة ، وأغلب ظنى أن إصبع الصهيونية العالمية الهدامة ليست بعيدة عنها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولم تسترح نفسى إلى ما كان يجرى من حولى فى هذه الاجتماعات من حركات وإشارات ، ولم يطمئن عقلى إلى ما أرى وما أسمع ، ولم يلبث هذا الشك أن أصبح يقينا بأن هذا الذى يجرى من حولى ليس إلا ضربا من الدجل والشعوذة ، فاكتفيت وقتذاك بأن أنسحب فى هدوء ، وخلاصة ما حدث وقتذاك مما صرفنى عن هذه التجارب هو أنى لم أطمئن إلى الضوء الأحمر الخافت الذى كان كل شىء يجرى فيه ، ولم أستطع تعليل الحركات المتشنجة وأصوات النفخ المزعج والشخير المنكر التى تخرج من فم الوسيط عند قيامه بالعلاج الروحى المزعوم ، ولم أستطع أن أسيغ ما قيل فى تعليل ذلك من أن العلاج يتم بإشعاعات غير منظورة ، تأتى من عالم الروح عن طريق الوسيط . فالإشعاعات لا تستلزم هذه الأصوات التى لا تصلح إلا لأن تكون وسيلة من وسائل الاسترهاب ، وزاد فى عجبى وفى شكوكى أن الوسيط - وكان وقتذاك هو المدعو يس - كان يتفوه فى غيبوبته المزعومة برطانات غامضة ، زاعما أن هذا الخليط المضطرب من الأصوات هو اللغة التى يتفاهم بها الأرواح فيما بينهم ، وكان من السهل على أى مدقق أن يكتشف أن هذه الأصوات المتنافرة التى تخلو من أى ضرب من ضروب النظام أو التناسق لا يمكن أن تكون لغة ، وظل الشك يراودنى زمنا حتى فوجئت فى بعض الجلسات برجل غريب يقتحم علينا اجتماعنا زاعما أن قوة خفية قد ساقته إلى ذلك المكان ، ثم لا يلبث أن يقع فى غيبوبة فيرقد إلى جانب الوسيط الأول ويتبادل معه الرطانة .

وعند ذلك وجدت الفرصة سانحة للكشف عن حقيقة الأمر ، فأخرجت إبرة ذات رأس مما تعودت وقتذاك أن احتفظ به فى ثنية الصدر بمعطفى ، ودفعتها خلسة فى ساق الوسيط الجديد وكررت ذلك مرتين فتململ ولم يلبث أن أتبع ذلك بكلمات وحركات أدركت منها أنه يتمتع بكامل وعيه . ولم يلبث هذا الرجل الغامض أن اختفى فجأة كما ظهر فجأة . واستوضحت الأستاذ أبا الخير حقيقته فقال لى : إنه دجال لا خير فيه وأنه لم يجئ إلا طمعا فى مغنم يصيبه من وراء عمله . ثم إنى لقيت الرجل بعد ذلك مصادفة أثناء زيارتى لأحد أصدقائى بمنيل الروضة فى سنة ١٩٣٩ قبيل نشوب الحرب . ولم أجد صعوبة كبيرة فى استدراجه فقد كان حنقه على الأستاذ أبى الخير لا يقل عن حنق الأستاذ أبى الخير عليه . لذلك لم أكد أسأله جلية أمره حتى اندفع فى الكلام بلا تحفظ يقص على كل ما حدث أثناء غيبوبته المزعومة فى تلك الجلسة التى اختفى على أثرها ، وقدم لى من الدلائل ما تأكدت معه أنه لم يكن غائبا عن الوعى كما كان يتظاهر . وهذا يعنى أن الوسيط الآخر الذى يقوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالعلاج الروحى المزعوم لابد أن يكون مخادعا مثله ، لأنه كان يبادله الرطانة فى أثناء تظاهرهما بالغيبوبة . واستنتجت وقتذاك أنه كان طامعا فى أن يشاركه فى المغانم والمكاسب التى توهم أن القائمين على هذه التجارب يجنونها من وراء العلاج الروحى . وأن الأستاذ أبا الخير لم يلبث أن تخلص منه حين تبين منه هذه النية .

والمهم فى الأمر هو أن هذا المحتال كان يواطئ الوسيط الأول الذى يبنى عليه أبو الخير كل نتائج بحوثه الروحية . فإذا ثبت أنه دجال فلا بد أن يكون الآخر دجالا مثله . ولا بد أن يكون ما نحن فيه باطلا من أوله إلى آخره . وقد صارحت الأستاذ أبا الخير بكل ماحققته فلم أجد منه إقبالا على كلامى أو إصغاء إليه ، ورأيت فيه إسرافا فى حسن الظن بالوسيط يتجاوز فى تقديرى ما ينبغى أن يتسم به البحث العلمى الدقيق ، فاكتفيت وقتذاك بأن أعتزل اجتماعاته فى هدوء ، لما كنت أكنه له من تقدير واحترام منذ تتلمذت عليه ، ولأنى قد رجحت حينذاك أنه ضحية لخداع الوسيط وثقته به وأنه غير مشترك فى هذا الخداع ، ولأنى كنت لا أزال وقتذاك مخدوعا بدعاوى الروحيين لا تتجاوز شكوكى شخص الوسيط . فكنت أقول لنفسى : إن فشل تجربتنا لا يدل على فساد الدعوى ، ولعل مواصلة التجربة تؤدى إلى نتائج سليمة . ولم ألبث أن نقلت إلى فرع كلية الآداب بالإسكندرية فى العام التالى سنة ١٩٤٠ فانقطعت صلتى بالجماعة إلا ما كان من زيارات متباعدة كلما سمحت الفرصة أثناء وجودى فى القاهرة . ولكنى تتبعت أخبارها فى الصحيفة التى أصدرتها من بعد باسم (عالم الروح) والتى ظل الأستاذ أبو الخير يتفضل بإرسالها إلى مشكورا حتى الآن . فعرفت منها أنه قد استبدل بالوسيط الأول وسيطاً آخر يدعى محمد أبو سريع عيد وهو صانع يعمل فى تبييض الجدران وطلاء الأبواب . ثم انتهى إلى جماعة من المثقفين الذين أشرت إلى أسماء بعضهم منذ قليل ، فاستغلوا صفتهم هذه التى تمكنهم من إملاء ما يشاءون باسم الأرواح ، وانحرفوا إلى الدعاية للفرعونية وتمجدها فى شتى نواحيها الحضارية والثقافية ، بل الدينية أيضا ، حتى أصبحت بعض أعداد مجلة « عالم الروح » الشهرية مسخرة لهذا الغرض وحده فى كل مقالاتها .

وأتاح الله لى بمنه وفضله بعد من أسباب الهداية ما ملأ نفسى يقينا وما أقامنى على الجادة ، وكفانى التعرض لهذه المجازفات الخطرة المهلكة . وأعدت النظر فى هذه المزاعم الروحية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإذا هي شعبة من الدعوات المريبة التي تأخذ الناس من كل جانب ، والتي تلبس مختلف الأثواب ، وتخفي حقيقتها تحت مختلف الأسماء ، محاولة بذلك أن تغطي كل الميادين ، وتتغلغل إلى كل الاتجاهات . فهي تارة تنتحل اسم العلم ، وهي تارة أخرى تنتحل اسم السلام أو الرحمة أو الإنسانية أو محاربة الإلحاد والمادية . وهي أبعد شيء حقيقة وهدفا عن كل ما تتستر تحته من أسماء وأغراض . وهالني الأمر حين تبينت حقيقة أمرها ، وكثرة المخدوعين بها والواقعين تحت سلطانها ، من الأبرياء الذين لا تزال تستدرجهم حتى تستل من صدورهم الإيمان ، وتسلمهم إلى خليط مضطرب من الظنون والأوهام ، يتزعزع معه كل ما استقر في نفوسهم من عقائد دينية ومعايير خلقية . عند ذلك أيقنت أن في عنقي أمانة لا تبرأ ذمتي إلا بأدائها ، وهي أن أشهد بما علمت وأكشف عما عرفت من أمر هذه الدعوة الهدامة . فلعل في مقالي هذا الذي أكشف فيه عن أباطيل هؤلاء الهدامين إبراء لذمتي من تبعة كتمان الحق ، وقياما بواجب الشكر على بعض نعم الله سبحانه وتعالى على .

وبعد ، فإني أستميح القارئ عذرا عن إقحام شخصي في هذا الحديث ، فما إلى التحدث عن نفسي قصدت . ولكني أردت أولا أن أدلي بشهادة يأثم قلبي بكتمانها ، ثم إني أردت أن يعلم القارئ وأن يعرف المشتغلون بهذه الأوهام أني لا أجازف بالخوض فيما لا أعرفه ، وأني غير مدفوع في كلامي هذا بالتشبث بالمألوف الموروث والإعراض عن كل جديد ، على ما يزعمه ويكرره أصحاب كل ضلالة تساق تحت اسم « جديد » . ومن الواضح أن كلامي غير موجه للغشاشين والمخادعين والمضللين والمغرضين من طلاب المغانم شهرة كانت أو مالا . فهؤلاء لا حيلة لي معهم ، وأمري وأمرهم إلى الله سبحانه وتعالى . وكل ما أستطيعه إزاءهم هو أن أنبه الناس لشرهم وأكشف الغطاء عن ألاعيبهم . أما المخلصون والباحثون عن الحقيقة من المشتغلين بهذه التجارب ، ممن استهواهم بريقها الخداع ، وظاهرها المزيف ، ودعاواها المزورة ، فإليهم يساق الحديث . والأمل كبير في أن يراجعوا أنفسهم ، ويعيدوا النظر فيما قرءوا وما شاهدوا ، وفيما يقرءون وما يشاهدون ، في ضوء ماسوف أكشف عنه أثناء مناقشة حججهم وأساليبهم وفضح أغراضهم . وإلى الجزء القادم إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كلمـــة

حول الاحتفال بليلة النصف من شعبان

كتب الأستاذ الشيخ محمد البنا فى العدد الثانى عشر من مجلة لواء الإسلام لسنتها الحادية عشرة كلمة فى حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وما ورد فيها من الصلاة والدعاء اللذين يفعلهما المسلمون فى مساجدهم وبيوتهم مع أهليهم لم يصب فيها كبد الحقيقة التى ينشدها المسلمون من الدعاة الهادين ؛ لأنه ظن أن الأحاديث الواردة فيها ـ وقد ذكر بعضها ـ صحيحة سالمة من التجريح ، مع أنها على ما نقل عن الحافظ ابن حجر لا تساوى سماعها ، وبكل أسف أرخى العنان لقلمه فجمح به وند عن طريق الرشاد الذى يدعو إليه القرآن الكريم ، فرمى صفوة العلماء أئمة الدين بالحماقة وسوء التصرف والبعد عن الحكمة وتفريق كلمة المسلمين ؛ لأنهم اختلفوا فى حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان هل هو موسم دينى مشروع أو غير مشروع ؟ حيث قال ما ملخصه : إن ما يفعله المسلمون فى هذه الليلة فى مساجدهم وبيوتهم مع أهليهم من الصلاة والدعاء وقراءة القرآن تقليد لا أراه مناغيا للدين أو مراغما لسنة من سنن سيد المرسلين ، وفى الاحتفال بهذه الليلة تذكير الناس بالإقلاع عن الرذائل والتحلى بالفضائل ، والأولى أن يدعو الإنسان فى هذه الليلة بما ورد مع قراءة سورة يس .

ثم قال عن اختلافهم فى حكمه : والعلماء قدوة للناس فإذا أوقدوا بينهم نار الخلاف لأمر صغير كانوا قدوة سيئة وشراً مستطيرا ، وإذا غلبت الحكمة والتقوا على هدف واحد بالتفاهم والتعاون كانوا مثلا صالحا وخيرا للعالمين ، كيف وقد عرف من أخلاق سيد الخلق أنه كان لا يزجر أحداً إلا عن معصية ، وليس فى هؤلاء العلماء من يدعى أن الدعاء فى هذه الليلة منكر والابتهال إلى الله فيها معصية ، وماذا عليهم لو قالوا كما يقول عقلاء الأمة : إن ما ورد صحيح ، لو قالوا ذلك لساد الوفاق وارتفع الشقاق وكان ذلك هو الحكمة وفصل الخطاب .

والرد على كلمته أقول للأستاذ محمد البنا : إن الدين رسم إلهى وتشريع سماوى ، شرعه العليم الحكيم على لسان رسله بما يليق لعبادته وشكره ومصالح عباده ، فبين العبادات وكيفيتها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وزمانها ومكانها ومواسم اجتماعها ، فليس للرأى والقياس العقليين فيه دخل ، فمن أحدث زيادة أو نقصا فى عددها أو كيفيتها أو أحدث مواسم أو اجتماعات أو أحكاما من حلال أو حرام فقد جعل نفسه شريكا لله فى التشريع كالأحبار والرهبان ، أو افترى الكذب على الله إن نسب ذلك إليه تعالى ، وهذا ابتداع فى الدين فهو ضلالة ، فقول الأستاذ محمد البنا : إن هذا « تقليد » اعتراف صريح منه بأن هذا الاحتفال غير مشروع ، وأنه تقليد لمبتدعيه كتقليد الكتابيين للكهنة فى طقوسهم الدينية ، وقوله : لا أراه منافيا للدين ، قول بالرأى فى الدين ، وتشريع بما لم يأذن به الله ، فهو ضلالة وفتنة . روى عوف بن مالك الأشجعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة ، أعظمها فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم ، يحرمون ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله) ، وقال عمر بن الخطاب « إياكم وأصحاب الرأى فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يعوها وتفلتت منهم أن يحفظوها ، فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا » .

ويؤيد ما ذكرته من أن التشريع الدينى لا دخل للرأى العقلى فيه ما وقع بين على كرم الله وجهه وبين رجل آخر ، وهو أن رجلا يوم العيد فى الجبانة أراد أن يصلى قبل صلاة العيد فنهاه على فقال له الرجل : إنى أعلم أن الله لا يعذب على الصلاة ، فقال له على : إنى أعلم أن الله لا يثيب على فعل حتى يفعله رسول الله أو يحث عليه . فما أشبه قول الأستاذ محمد البنا بقول هذا الرجل فيرد عليه بما قاله على رضى الله عنه ، وروى أن رجلا سأل مالك بن أنس من أين أحرم ؟ فقال له مالك من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له الرجل : فإن أحرمت من أبعد منه ؟ فقال له مالك : لا تفعل فإنى أخاف عليك الفتنة . فقال الرجل : وأى فتنة فى ازدياد الخير فقال له مالك : يقول الله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » وأى فتنة أعظم من أنك ترى أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله صلى الله عليه سلم .

وقول الأستاذ البنا أنه ورد فى ليلة النصف من شعبان صلاة ودعاء وقراءة قرآن دعوى غير مطابقة للواقع . بل كل ما ورد فيها ابتداع الضالين المضلين على ما سنبينها .

وقوله وقد عرف من أخلاق سيد الخلق أنه كان لا يزجر أحدا إلا عن معصية ، فيقال له أى معصية أعظم من الابتداع فى الدين وافتراء الكذب على الله وتشريع مالم يأذن به الله ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والله يقول : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا » والنبي يقول فى خطبته « وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » وعن مالك « من أحدث فى هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ، لأن الله يقول: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا » وعن حذيفة بن اليمان وابن مسعود « كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله فلا تعبدوها ، فإن الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يامعشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم » . وعن ابن عمر « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة » .

والاحتفال بليلة النصف من شعبان بالطريقة التى يفعلها المسلمون فى مساجدهم وبيوتهم مع أهليهم لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بفعل أو قول ، ولم يجعل الشارع هذه الليلة من مواسم الاجتماع الدينية ، ولم يتعبدها أصحاب رسول الله ، بل هو محدث فى سنة ٤٤٨ هـ . فهو بدعة ضلالة .

وقوله وفى الاحتفال بهذه الليلة تذكير الناس بالإقلاع عن الرذائل والتحلى بالفضائل ، سهو من الأستاذ البنا عن مواقع التذكير يحتاج الى تنبيه بأن تذكير الناس بذلك من قبيل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو مطلوب من القادر على ذلك فى جميع الأوقات لا فى خصوص ليلة النصف من شعبان ، فتخصيصها بذلك بدعة ضلالة .

وقوله وماذا على العلماء لو قالوا كما يقول عقلاء الأمة إن ماورد صحيح ؟ هذه عبارة نابية عن حدود آداب المناظرة ، ولا يليق صدورها من رجل أعد نفسه للإرشاد إلى مكارم الأخلاق مع الأئمة المحدثين الحفاظ الذين بذلوا حياتهم وعقولهم لتأييد الحق من الدين ونبذ الباطل الذى ألصقه المبتدعة به : كالعز بن عبد السلام وتقى الدين بن الصلاح وأبو بكر ابن العربى وأبى شامة شيخ الإمام النووى وابن تيمية ، وغيرهم من أعلام المحدثين الذين بلغوا درجة الاجتهاد، ويصفهم بأنهم غير عقلاء ومفرقون الأمة الإسلامية، لأنهم اختلفوا فى الاحتفال بليلة النصف من شعبان مثل هو موسم دينى له صلاة خاصة ودعاء وقراءة قرآن ؟ وكان عليهم أن يتفقوا على مشروعيته وصحة أحاديثه وإن ثبت عندهم أنها موضوعة . فأذكر الأستاذ محمد البنا ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بأن الاختلاف الذى هو تبادل الرأى للوصول إلى الحق للعمل به دينيا أو دنيويا جائز شرعا مقبول عقلا ، وقد خلق الله الإنسان متفاوت العقل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مستعدا لتبادل الرأى ، لتحصيل العلم الذى تتحقق به إنسانيته ويصلح به أن يكون خليفة فى الأرض ليعمرها . فطلب الأستاذ البنا من أعلام الأمة نبذ الاختلاف وتبادل الرأى بينهم كطلب ألا يكون الإنسان إنسانا ، وفى القرآن الكريم كثير من الاختلاف بين بنى الإنسان بل وبين الملائكة ، فقد اختلف موسى مع أخيه هارون ومع الخضر ، واختلف النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى كثير من الشئون الدينية والدنيوية ، واختلف السلف بعضهم مع بعض ، وما الشورى فى الإسلام إلا تبادل الرأى ، وما القضاء فى الخصومات إلا بعد تبادل الرأى بين المتخاصمين أمام القاضى ، وما اختلاف العلماء فى مشروعية الاحتفال بليلة النصف من شعبان وعدم مشروعيته إلا تبادل الرأى لإفرار الحق ونبذ الباطل الذى لا تقره الشريعة الإسلامية . فهم عقلاء الأمة وقدوتها ، وشمس هدايتها وجامعو شتاتها ومنظمو عقدها ، فجزاهم الله خيرا . وأختم كلمتى بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا تزال أمتى بخير ما وقر صغيرها كبيرها ورحم كبيرها صغيرها وحفظوا لعالمهم حقه » ، نسأل الله أن يجعلنا من الذين يحفظون حقوق علمائهم ويجنبنا الانحراف عن صواب آرائهم .

وإليك نبذة مما قاله حفاظ الحديث وأهل التعديل والتجريح فى حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان ومارد فيها وتاريخ حدوثها .

(قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة » من سورة الدخان ما نصه : قال القاضى أبو بكر بن العربى وجمهور العلماء : إنها أى الليلة المباركة ليلة القدر ، ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل ، لأن الله تعالى قال فى كتابه الصادق القاطع « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » فنص على أن ميقات نزوله رمضان ، ثم عين نزوله الليل هاهنا بقوله « فى ليلة مباركة » ، فمن زعم أنه فى غيره فقد أعظم الفرية على الله ، وليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا فى فضلها ولا فى نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا إليها) ا . هـ .

وقال جمال الدين القاسمى فى كتابه « إصلاح المساجد » نقلا عن كتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبى شامه شيخ الإمام النووى فى حكم صلاة رجب : وقد جزم حفاظ الحديث بوضع أحاديثها . ثم قال : وما ذكره الحافظ أبو الخطاب فى أمر صلاتى رجب وشعبان من أنهما بدعتان وحديثهما موضوع هو كان سبب تبطيلهما فى بلاد مصر بأمر سلطانها الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب رحمه الله ، فإنه كان مائلا إلى إظهار السنن وإماتة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البدع . وقال فى بدعة زيادة التنوير فى ليلة النصف من شعبان ونشر فضائلها وقراءة أدعية فيها : وهو من بقايا ما كان ابتدع فيها سنة ٤٤٨ هـ من الصلاة الألفية ، يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة ، فى مائة ركعة تتلى بعد الفاتحة عشر مرات سورة الإخلاص، وكانت تنور المساجد لأجلها ويجتمع الألوف لأدائها ، إلى أن أبطلها الملك الكامل ، ثم قال : قال ابن وضاح عن زيد بن أسلم : ما أدركنا أحدا من مشايخنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان ولا فقهاؤنا يلتفتون إلى حديث مكحول ولا يرون لها فضلا على سواها ، وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية تروى الناس الأغفال فى صلاة ليلة النصف من شعبان أحاديث موضوعة ، وكلفوا عباد الله بالأحاديث الموضوعة فوق طاقتهم من صلاة مائة ركعة ، وقال أهل التعديل والتجريح : ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يصح ، فتحفظوا عباد الله من مغتر يروى لكم حديثا موضوعا يسوقه فى معرض الخير ، فاستعمال الخير ينبغى أن يكون مشروعا من النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا صح أنه كذب خرج عن المشروعية ، وكان مستعمله من خدم الشيطان ؛ لاستعماله حديثا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل الله به من سلطان . ثم قال « وما أحدثه المبتدعون وجروا فيه على سنن المجوس واتخذوا دينهم لهوا ولعبا من الوقيد ليلة النصف من شعبان ، لم يصح فيها شىء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نطق بالصلاة فيها والإيقاد وصدق من الرواة ، وما أحدثه المتلاعب بالشريعة المحمدية راغب فى دين المجوسية لأن النار معبودهم ، وأول ما حدث ذلك فى زمن البرامكة فأدخلوا فى دين الإسلام ما كان أصلهم عليه من عبادة النيران . ثم قال : وأما دعاؤها المشهور فلم يرد من طريق صحيح ولا غيره ، وإنما هو من جمع بعض المشايخ » اه كلام العلامة القاسمى رحمه الله .

وعن النجم الغيطى فى فضائل ليلة النصف من شعبان : (أن ما يروى فى هذه الليلة من الأحاديث باطل وموضوع) اه .

وقد أنكر الإمام الشيخ محمد عبده ليلة احتفال بليلة النصف من شعبان وأطلق عليها رصاصاته أشد الإنكار فى درس التفسير الذى كان يقرؤه فى الأزهر على ملأ العلماء والعظماء . ومن أهم ما استند إليه المبتدعون لهذا الاحتفال تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام فى يوم النصف من شعبان ؛ فالاحتفال بليلته تذكير بهذا الحادث العظيم وفى بهجة المحافل عن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المواهب اللدنية (روى الإمام أحمد عن ابن عباس بإسناد صحيح أن تحويل القبلة كان فى رجب ، قال الواقدى وهو أثبت) أى من القول بأنه فى شعبان . وقال الحافظ أبو الخطاب وهو الصحيح وجزم به الجمهور) اهـ . على أنه لو ثبت قطعا أنه فى شعبان لم يكن هذا مسوغا لجعلها موسما يحتفل به دينيا ؛ لأن كل احتفال دينى لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة كالجمعة والعيدين والحج ، ولم يكن له مسوغ شرعى ، كالاتعاظ والاعتبار أو التأسى والاستبصار بذكر حوادثه وأسبابها وما نجم عنها كذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، يكون عبثا وتشريعا بما لم يأذن به الله فيكون بدعة ضلالة ، وعلى علماء المسلمين أن يقاطعوا هذا الاحتفال ، وجميع الاحتفالات المبتدعة ، كاحتفالات المولد التى ابتدعها أرباب طرق التصوف الباطلة ، التى شوهت جمال الدين المحمدى وسترت ضوءه ، وأساءت سمعته لدى أعدائه بما اشتملت عليه من المفاسد وجعلت الأمة الإسلامية شيعاً وأحزابا متفرقة متعادية ؛ لأنهم على غير المنهج النبوى ، فهم لا يرون إلا أكل أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ؛ فإن شهود العلماء لهذه الحفلات وهذه الموالد بدون إنكارها وهم أئمة الدين مما يوهم العامة أنها من الدين وهو منها براء ، بل وعلى العلماء خصوصا الوعاظ منهم أن يبينوا للناس أنها فتنة وإلا كان عليهم إثم السكوت والإقرار على الباطل . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة قالوا من هى يارسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابى » . أسأل الله أن يوفقنا إلى اتباع هدى النبى صلى الله عليه وسلم .

عمر عبد الوهاب الجندى
شيخ معهد دسوق سابقا

صحابة الرسول

شم العرانين أبطال ابوسهم ... من نسج داود فى الهيجا سرابيل
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم ... قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

كعب بن زهير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من تاريخ السنة النبوية

(١)

حجية السنة ووجوب العمل بها

السنة معناها فى اللغة الطريقة والعادة المتبعة ، وأما معناها فى عرف المحدثين والأصوليين، فهى قول النبى صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ، والمراد بتقريره سكوته وعدم إنكاره لقول أو عمل رآه أو علم به ، صدر ممن هو خاضع لحكمه وسلطانه ، فهذا السكوت يكون تقريراً لمشروعية ذلك القول أو العمل ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقر أحداً على باطل ، أما إذا صدر ذلك القول أو العمل ممن ليس خاضعا لحكمه وسلطانه ، فلا يكون عدم إنكاره تقريراً لمشروعيته .

والسنة بهذا المعنى الاصطلاحى ، هى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم ، فقد أجمع أهل الحق من أئمة المسلمين وعلمائهم ، على أن السنة النبوية حجة شرعية يجب العمل بها ، وقد تحدث القرآن عن هذا الأصل فى آيات كثيرة ، وأظهره فى أساليب متنوعة ، فيها إيجاب وإلزام ، وفيها ترغيب وترهيب ، فأوجب علينا امتثال أمره واجتناب نهيه ، والاقتداء به فى قوله وفعله ، والانقياد لحكمه والتسليم لقضائه ، كما فى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ، « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ، « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » قال العلماء : معناه إلى الكتاب والسنة ، وجعل طاعة الرسول طاعة لله عز وجل كما فى قوله « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا » وجعل اتباعه مستتبعا لحب الله لنا ورضائه عنا كما قال تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ، وحذرنا من مخالفة أمره وأوعد المخالفين بسوء العذاب ، كما قال تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وأكده فى كثير من الأحاديث ، كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى ومسلم « فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفيما رواه البخارى « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله » وقوله صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله » .

فحجية السنة النبوية معلومة من الدين بالضرورة ، والإيمان بها أصل من أصول الدين ، والعمل بها واجب كالعمل بالقرآن الكريم ، لايخالف فى ذلك إلا من ضل سواء السبيل ، فكل حديث روى بطريق النقل الصحيح وتضمن حكما تشريعيا ، فإنه يكون حجة شرعية فيما دل عليه من إيجاب أو ندب ، أو تحريم أو كراهة أو إباحة ، بشرط ألا يكون مناقضا لصريح العقل ، أو للنصوص القرآنية الصريحة ، أو الأصول الشرعية المجمع عليها ، أما إذا كان مناقضا لشىء مما ذكر ، فإن قبل التأويل بما يرفع عنه هذه المناقضة ، وجب تأويله مع المحافظة على قوانين اللغة العربية فى أوضاعها ودلالاتها ، وإن لم يقبل التأويل وجب رده وعدم الأخذ به ؛ لأن هذه المناقضة التى لاتقبل التأويل المعهود فى الأساليب العربية ، تدل على أنه حديث موضوع مختلق كما قال أئمة الحديث .

فما كل راو بعدل ضابط ثقة ، وما كل مروى بحديث صحيح ، بل الرواة منهم العدول الضابطون الثقات ، ومنهم الضعفاء وأهل الغفلة ، ومنهم الوضاع أصحاب الأهواء والغايات ، والأحاديث الجارية على ألسنة الرواة منها الصحيح المعروف ، ومنها الضعيف المنكر ، ومنها الموضوع المختلق ، هذا هو الحق الذى ينطق به واقع الحال فيما روى من أحاديث وسنن ، فإن كل من عرف أحوال الصحابة الذين نقلت عنهم أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وعرف أحوال التابعين الذين نقلوا عنهم هذه الأحاديث ، وعرف أحوال الأئمة الذين رووها عنهم وجمعوها ودونوها فى دواوينهم ، وأحاط خبراً بمدى عناية هذه الصفوة القوية فى عقائدها وأخلاقها وتدينها ، والممتازة فى حفظها وعدالتها وضبطها ، بحفظ هذه الأحاديث والتثبت فى روايتها والتحدث بها ، ووقف مع ذلك على تاريخ المسلمين وما عرض لهم من أحداث وفتن ، وما تكشف عنه هذه الأحداث والفتن ، من أحزاب وشيع ، وأهواء وابتداع ، وعرف كيف هيمن على تفكير هذه الشيع طغيان التعصب والهوى ، ووقف على أحوال الطوائف التى كانت تكيد فى الخفاء للإسلام والمسلمين ، فإن كل من عرف ذلك معرفة رسوخ وتثبت ، فإنه يحكم حكما جازما لا يرقى إليه الشك والارتياب ، بثبوت الصحة ووجوب الصدق ، فى مجموعة كبيرة من الأحاديث والسنن ، التى جاءت مبينة لمقاصد القرآن ومتممة لشرائع الإسلام ، كالأحاديث التى رواها الأئمة الراشدون وتلقتها الأمة بالقبول ، وتوارثها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المسلمون جيلا بعد جيل ، وبوقوع الكذب والاختلاق من الوضاع فى كثير من الأحاديث كالأحاديث التى وضعها الزنادقة لإفساد الدين ، والأحاديث التى وضعها أهل الأهواء تعصبا لمذاهبهم وانتصاراً لأهوائهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم » غير أن هـــذه الطوائف على كثرتها وتعدد اتجاهاتها وتباين أغراضها ، لم يخف أمرها على أئمة السنة وحفاظها ، بل عرفوهم معرفة الناقد البصير ، وكشفوا للمسلمين عن سوء مقاصدهم وخبث طوياتهم ، وبينوا لهم ما فى هذه الأحاديث التى وضعوها من زيف وبطلان ، فجزاهم الله عن الإسلام وسنة نبى الإسلام أحسن الجزاء .

أثر السنة فى التشريع الإسلامى :

للسنة النبوية أثر كبير فى التشريع الإسلامى . إذ هى المصدر الثانى له بعد القرآن كما قلنا ، ويتجلى هذا الأثر العظيم فى الجوانب الآتية :

« الجانب الأول » : تبيين القرآن وتوضيح أصوله وقواعده . كما قال تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » فالذكر هو القرآن المنزل من عند الله بلفظه ومعناه ، وهو الدستور الإلهى الذى أودع الله فيه الأصول العامة ، لإصلاح العقائد والأخلاق والأعمال . ونظمها فى آياته القدسية بأبلغ الأساليب العربية وأدق التراكيب البلاغية ، ثم أفاض على نبيه بيانها بسنته المطهرة ، تارة بالسنة القولية وتارة بالسنة العملية ، كبيان كيفيات الصلاة وأعدادها وأوقاتها ، ومقادير الزكاة وأوقاتها التى تؤدى فيها ، وأنواع الأموال التى تؤخذ منها ، ومناسك الحج وأحكام العقود والمعاملات ، وغيرها من شرائع الإسلام التى جاء القرآن بأصولها ، وجاءت السنة النبوية ببيانها وتفاصيلها ، كما يتجلى ذلك فى كتب الحديث التى عنى جامعوها بفقه الحديث النبوى ، فالموطأ ، وجامع الترمذى وسنن النسائى وسنن أبى داود ، والمنتقى جامعه لأحاديث الأحكام ، والمحلى لابن حزم وبلوغ المرام لابن حجر .

فالسنة النبوية هى التى وضحت مبادئ التشريع القرآنى وأصوله ، وبينت كيف كان يعمل الرسول وأصحابه بهذه المبادئ والأصول ، وكيف كان أثرها فى حياتهم المدنية والاجتماعية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

«الجانب الثانى» : استقلالها بتشريع كثير من الأحكام العملية، كما يدل لذلك قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقوله تعالى « ويعلمهم الكتاب والحكمة » قال العلماء الكتاب هو القرآن الكريم ، والحكمة هى السنة النبوية ، وما رواه أبو داود والترمذى من قوله صلى الله عليه وسلم « يوشك رجل منكم متكئا على أريكته ، يحدث بحديث عنى فيقول ، بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل الذى حرم الله — زاد أبو داود فى روايته — ألا إنى قد أوتيت الكتاب ومثله معه » . فقد دل هذا الحديث بمجموع طرقه ورواياته على ثلاثة أمور « أحدها » أن السنة مصدر تشريعى كالقرآن الكريم ، وأنه صلى الله عليه وسلم أوتى من هذا الوحى الباطنى وهو السنة ، مثل ما أوتى من الوحى الظاهرى وهو القرآن الكريم ، فالقرآن منزل من عند الله بألفاظه ومعانيه . والسنة معانيها وهى من الله تعالى ، وألفاظها الدالة على هذه المعانى من عند النبى صلى الله عليه وسلم وإنشائه ، كما يدل على ذلك عموم قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » فلم تكن أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، تصدر عنه على نهج خطباء العرب وشعرائهم ، وإنما كانت روحه العلوية تتلقى من الملأ الأعلى ، ما شاء الله من معانى الحكمة ، ثم يصوغها فى تراكيب تعبر عن هذا الوحى الباطنى الإلهى ، بخلاف خطباء العرب وشعرائهم ، فإن أرواحهم كانت تستمد المعانى التى تجيش فى صدورهم ، من عواطفهم وأحاسيسهم ، وما يحيط بهم من العوامل والمؤثرات ، ثم يعبرون عن هذه المعانى ، بالأساليب التى تتفق مع هذه العواطف والأحاسيس والمؤثرات ، « وثانيها » التحذير من مخالفة السنن التى سنها الرسول مما لم يذكر فى القرآن الكريم ، فالاحتجاج والعمل بالقرآن مع الإعراض عن السنة ، إنما هو ضلال فى الرأى وفساد فى العقيدة وإلحاد فى الدين ، « وثالثها » أنه لا حاجة فى الاحتجاج بالحديث إلى عرضه على كتاب الله كما زعم بعضهم ، بل هو حجة شرعية قائمة بنفسها ، وأما ما يروى من حديث « إذا جاءكم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه » فقد قال فيه القرطبى نقلا عن الخطابى ، إنه حديث باطل لا أصل له ، ونقل ابن عبد البر فى كتاب جامع العلم أنه من وضع الزنادقة والخوارج .

« الجانب الثالث » : هو ما جاءت به السنة النبوية من الأخلاق الفاضلة . والآداب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السامية ، والحكم البالغة ، والمواعظ الشافية ، فهى الناصح الأمين فى نصحه ، والمرشد الصادق فى إرشاده ، والقائد الحكيم فى قيادته ، والرائد الذى لا يكذب أهله ، والسلسل العذب الذى يحيى موات القلوب التى لم تستحكم فيها غباوة الجهل ، ولم تحجبها عن منهله حجب الأهواء والشهوات ، وهى النور الإلهى الذى ينفذ إلى أعماق النفوس المستعدة للخير والهداية فيملأ جوانبها هداية ونورا ، فليس شىء بعد القرآن أهدى للنفوس ، وأنجع فى شفاء الصدور وطهارة القلوب ، وأقوى فى تتمة مكارم الأخلاق ومواهب الخير والكمال ، من دراسة السنة دراسة رائدها الإخلاص للدين والعلم ، والوصول إلى مكنون حقائقها وأسرارها . وغايتها ترقية الأرواح وتزكية النفوس ، وتقوية الأخلاق وإصلاح الأعمال ، وقوامها البحث العلمى الذى لا تشوبه شوائب الأغراض والأهواء ، ولا تتحكم فيه عصبية المذاهب وتقديس الآراء ، ولا تلتوى به مسالك الزيغ والانحراف ، ولا تذهب بفائدته معوقات الجدل الذى لا نفع فيه ولا جدوى ، فإذا تكاملت لدراسة السنة هذه العناصر التى لابد منها ، فحدث عن مواقع الغيث ومواهب الخير ولا حرج ، حدث بما شئت وشاء لك الحديث ، عما تثمره هذه الدراسة من طهارة القلوب وصفاء النفوس ، وكمال الأخلاق واستقامة السلوك والإحاطة بأصول التشريع الإسلامى وفروعه ، والوقوف على أغراضه ومقاصده ، واحكم وأنت صادق فى حكمك ، بأن كل قلب لا يمتلئ بتعظيم شأن السنة النبوية ، ولا يستضىء بنورها وهديها ، ولا يعرف حق حفاظها ورواتها من الإجلال والإكبار ، لهو قلب هواء لاخير فيه ، ولا يقين له ولا طمأنينة ، ولا نور فيه ولا هداية .

هذه هى خلاصة الجوانب التى تجلى أثر السنة فى التشريع الإسلامى ، وتبين منزلتها من الكتاب العزيز ، وتقيم الحجة الواضحة على أن الكتاب والسنة صنوان لا يفترقان ، وكيف يفترقان وقد جمع الله بينهما فى العقيدة والعمل ، فمن فرق بينهما أو حاول التشكيك فى هذا الميراث النبوى ، فقد ضل فى عقيدته وعمله ضلالا بعيدا .

عناية المسلمون بالسنة :

عرف المسلمون الأولون أن السنة النبوية المطهرة ، هى معتصم المسلمين وقبلة أنظارهم بعد القرآن الكريم ، ولهذا عنى بها علماء المسلمين وأئمتهم عناية كبرى ، فلم يدعوا جانبا من جوانب حفظها وجمعها ، وتدوينها وشرحها ، إلا جاءوا فيه بأقصى ما تحتمله طاقة البشر ، فقد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قيض الله لها من خيرة الحفاظ المتقنين . والرواة الصادقين ، وأعلام الأئمة الراسخين ، رجالا عرفوا من توجيهات القرآن وتعاليم الإسلام ، أن الوجود الدنيوى بكل ما يتطلبه من عمل وكفاح ، وما يصل إليه من رقى وكمال ، وما ينطوى عليه من حكم وأسرار ، إنما هو إعداد لوجود أخروى هو أرقى من هذا الوجود ، وحياة أبدية هى أكمل من هذه الحياة فارتفعت بهم هذه المعرفة عن الرضا بالحياة الراكدة العاطلة ، وسمت بهم عن التطلع إلى المجد الرخيص المبتذل ، وفتحت أعينهم على أبواب هذا الإعداد ومسالكه ، وملأت قلوبهم بأجل المقاصد وأعظم الغايات ، ورأوا بنور بصائرهم ، واستقامة تفكيرهم ، أن الاشتغال بحفظ السنة وتدوينها ، واستخلاصها من كل دخيل مكذوب ، واستخراج ما انطوت عليه من علوم وفنون ، من أشرف المقاصد وأنبل الغايات ، فوهبوا حياتهم وجهودهم لخدمتها والعناية بها ، واتخذوا من رياضها مسارح لعقولهم وأفهامهم ، وبذلوا فى سبيلها كل ما تحتمله الطاقة البشرية من جهد عقلى واحتمال جثمانى ، فسهرت عيونهم والجهال فى نوم يغطون ، وتعبت أجسامهم وطلاب المال والجاه فى لهو يلعبون ، لأن نفوسهم كانت كبارا :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

فكانت نورا لعقولهم ، وغذاء لأرواحهم ، وسكنا لأفئدتهم ، ورائداً لهم فى تدينهم وسلوكهم ، ومرجعا لهم فى فتاويهم واجتهادهم .

وبهذه الجهود التى تواصلت حلقاتها ، وسارت مع السنة فى جميع عصورها وأطوارها ، والتى لم تعرف لكلام نبوى من قبل ، حفظوا على السنة جلالها وقداستها ، ونفوا عنها تحريف الغالين فى الدين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وصارت ميراثا خالدا فى المسلمين ، وتراثا باقيا فى العالمين ، وبذلك كانوا حماة الدين الصادقين ، والأئمة الهداة الراشدين ، ومصداقا لما رواه البيهقى من قوله صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف ، عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » . وتتجلى مظاهر هذه الجهود فى ثلاثة أطوار : وهى طور الحفظ والاعتماد على الذاكرة ، وطور الجمع والتدوين ، وطور الشرح والتفسير ، وتفصيل ذلك فيما يأتى إن شاء الله ؟ .

يس سويلم طه

شيخ معهد الزقازيق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أبطال التاريخ :

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

رضى الله تعالى عنه

يقف التاريخ وقفات طويلة ، عند كثير من الخلفاء والحاكمين المنصفين ، ويسجل لهم من صحائف المجد والفخار ، ما لا يبليه الجديدان ، ولا يمحوه الليل والنهار ، واقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ نضر الله تعالى تاريخه ـ من بين هؤلاء العادلين ، الذين دونوا تاريخهم بمداد من الفخر ، على صفحات من نور .

مولده ونشأته :

بن عبد العزيز بالمدينة المنورة ، على المشهور ، فى السنة الثالثة والستين نبوية ، وأمه أم عاصم ، بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، رشا بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، نشأة عزيزة كريمة ، قبل أن تتهيأ لسواه ، ثم أرسل به إلى أبيه عبد العزيز بن مروان ، والى مصر حينذاك ، فمكث بها عمر مدة ، يزهو مع نسيمها ، ويتمتع بخيراتها ، وينعم بجميل مشاهدها ، وصافى سمائها ، ورائع حسنها وآثارها . فلما بلغ سن التعلم أرسله والده إلى المدينة ، محط الثقافة الإسلامية ، وموطن علماء اللسان العربى إذ ذاك ، ومقر البقية الباقية من أصحاب الرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم من كبار التابعين ، وجعل صالح بن كيسان رحمه الله ، مؤدبه الخاص ، فأخذ عمر علومه من المنابع العذبة الفياضة ، واستقاها من المواد الصافية .

زواجه وحكمه .

ولما ذاع فضله أعجب به الخليفة ، عبد الملك بن مروان ، فزوجه بنته فاطمة ، ولما مات عبد العزيز فى السنة الخامسة والثمانين من الهجرة ، بعد أن حكم مصر باسم الأمويين زهاء عشرين عاما ، ولى الخليفة عمر حاكما على خناصرة ، وهى بلدة كبيرة تابعة لحلب ، ففرح أهلها كثيراً بحكمه ، لما سمعوه عنه وودع الخليفة الحياة ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وولى الأمر بعده ابنه الوليد ، وضج أهل المدينة بالشكوى من واليهم ، فلم يجد الوليد أصلح لهم ، ولا أعلم بشئونهم من عمر ، الذى نشأ بينهم ، وأقام طويلا فيهم ، فولاه عليهم ، ثم ضم إليه بلاد الحجاز كلها . فحكمها عمر قرابة ست سنوات ، من سنة سبع أو ثمانية للهجرة ، إلى سنة ثلاث وتسعين منها ، وتوخى الحق فى أموره ، واختار حاشيته عشرة من الأئمة المشهورين فى المدينة بالصلاح والتقوى ، وكان يرجع إليهم فى الشئون العامة . وحفر الآبار الكثيرة ومهد الطرق القديمة ، وشق أخرى جديدة ، وهدم المسجد النبوى ، وبناه ووسعه وجمله ، وسار فى الناس سيرة حميدة ، قربته من نفوسهم ، ومكنت حبه فى قلوبهم ، فأطاعوه وانصرفوا إلى أعمالهم ، وأمسى الأمن فى الحجاز حديث القاصى والدانى ، ونزح الناس إليه من كل صوب وحدب ، فراراً من ظلم الولاة وكان أهل العراق أسرع من سواهم ، فأقبلوا على الحجاز أفراداً وجماعات ، هاربين من الحجاج بن يوسف واليهم ، فأكرمهم عمر وسهل لهم سبل الإقامة والمعيشة ، وكتب للخليفة يصف له قسوة الحجاج ويندد بأعماله ، فكتب الحجاج للوليد يشكو عمر ، ويقول : إن حاكم الحجاز يحمى ثوار العراق ، الأمر الذى يزلزل أركان الحكم بالعراق ويزيد الفتن اشتعالا .

وكان الخليفة مطمئنا إلى بلاد الحجاز وطاعة أهلها ، حريصا أشد الحرص على تهدئة الأحوال فى العراق ، فعزل عمر ، وولى مكانه حاكمين بمكة والمدينة ، فبادرا بطرد العراقيين إلى بلادهم ، وشددا على كل من يؤوى عراقيا ، أو يعاونه .

عمر فى الشام :

رجع عمر ، رحمه الله ، إلى بلاد الشام ، حيث الأهل والعشيرة ، والجاه العريض والثراء الواسع ، ولم يؤلمه العزل ، لأن له من جاهه وحسبه وغناه ما يكفيه عن كل ولاية ـ ولكن الذى كان يحز فى نفسه أن يرى الأمويين يؤيدون الطغاة ويمالئونهم على ظلم الرعية ، حتى ضج الناس بالشكوى ، واستعان الحكام ببعض القبائل على بعض ، ورجعت العصبية التى استأصل الإسلام جذورها الى ما كانت عليه .

ويرى عمر من كل ذلك إلى الله ، وانقطع للطاعة والعبادة ، وأعرض عن الدنيا وأقبل على مولاه يرجو رحمته ويخشى عذابه ، وضرب فى مضمار الورع والزهد بسهم وافر ، ورثه عن جده لأمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه ، ونماه فيه أئمة المدينة وزهادها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تولیته الخلافة وزهده فی مال المسلمین :

ولقد امتاز عمر بعلمه ووقاره ، وسیرته العطرة فی الحکم ، وتقواه وصلاحه ، ورحمته بالمحکومین . واشتد الوجع بالخلیفة سلیمان بن عبد الملك ، وتوقع الناس موته ، ولم یکن هناك من یصلح للجلوس علی الخلافة إلا عمر ، فدخل وفد من العلماء ، وذوی المکانة والرأی علی سلیمان ، ورغبوا إلیه أن یعهد بالخلافة لعمر ، فنزل علی رأیهم وکتب وصیته بذلك ، ودعا وجوه الأمویین لإقرارها ، ولم یوضح لهم اسم من اختاره ، فوافقوا علیها وکل منهم یدور بخلده أن الوصیة له ، وصعدت روح الخلیفة لبارئها ، فی العام التاسع والتسعین للهجرة ، وفضت الوصیة فإذا هی لعمر ، فاستبشر الناس وأقبلوا إلیه مهنئین ومبایعین ، وسار فیهم سیرة الخلفاء الراشدین ، حتی عده بعضهم خامس هؤلاء المهدیین .

ولقد وجد أمیر المؤمنین من سبقه من خلفاء الأمویین یتناولون من بیت المال ما یشاءون ، ویعطون أقاربهم ما یریدون ، ویسکنون القصور الفخمة ویرکبون الجیاد المطهمة ، ویلبسون الثیاب الفاخرة ، ویستعملون العطور الذکیة ، ویستکثرون من الحرس ویحوطون أنفسهم بضروب مختلفة من الأبهة ، فرد عمر إلی بیت المال ما أخذوه بغیر حق ، وأمر ببیع الخیول وأثاث القصور ، والثیاب والعطور ، وجواهر زوجته ، ورد أثمان ذلك لبیت مال المسلمین ، وصرف الحراس ولم یبق منهم إلا من تمس الحاجة إلیه ، وخاف أن یکون فی ضیعته شیء مغصوب أو حرام ، فضمها لبیت المال ، مع خاتم نفیس کان قد أهداه إلیه بعض الخلفاء الأمویین .

ولقد حرم أمیر المؤمنین علی نفسه وأهله أن یأخذوا شیئا من مال المسلمین ، إلا عطاءه القلیل ، الذی قدره کثیر من المؤرخین بما یساوی مائة جنیه فی العام ، وکان ما یصیب عمر منها فی الیوم یقارب خمسة قروش !!!

شفقته بالرعیة وخوفه من الله :

لیس هناك أدل علی شفقته بالرعیة ، ورحمته بالمحکومین ، مما روته زوجه السیدة فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، قالت : دخلت علی عمر یوما فی مصلاه فرأیته یبکی ، والدموع تسیل علی لحیته ، فسألته ما یبکیك ؟ فقال : یا فاطمة لقد تقلدت أمر أمة محمد علیه الصلاة والسلام ، فتفکرت فی الفقیر الجائع ، والمریض الضائع ، والغازی المجهود ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثيرة والمال القليل ، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وخشيت ألا أجد حجة أدلى بها أمام الله ، فبكيت !!!

ولقد رتب رحمه الله للفقراء معونات ثابتة وفرض للمرضى عطاء خاصا ، وجعل للوالى منحا تساعدهم على العتق ، وأمر بقضاء الديون عن الغارمين ، وأقام ببعض النواحى أماكن عامة ، يلجأ إليها من أتعبه السفر وأضناه الرحيل ، يقيم بها يوما وليلة ، أو يومين وليلتين ، فى رعاية الوالى يمده بما يحتاج إليه ويبلغه مأمنه .

ولقد كانت أعمال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، تنطق بعظيم خوفه من الله سبحانه ، وكان يقسم نهاره ومعظم ليله ، بين النظر فى أمور الرعية وعبادة مولاه وتعليم الناس ، حتى اعتراه الضعف وأصابه النحول ، وإذا ذكر فى مجلسه الموت وما بعده اضطربت أوصاله ، وانهمرت دموعه ، وأبكى من حوله . فإذا أوى إلى فراشه تقلب فيه ساعات لا يألف النوم جفنه ، ويحاسب نفسه على ما قدمت وأخرت ، ويقول : ياليت بينى وبين الخلافة بعد المشرقين .

ودخل عليه بعض المقربين إليه ، فى آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، وقالوا يا أمير المؤمنين إن أولادك كثيرون ، فلا تتركهم يقاسون متاعب الحياة وشظف العيش ، فأوص لهم بشىء ، فقرأ قول الله تبارك وتعالى : « إن ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » [١] .

فلن أوصى لهم بشىء ، من كان منهم صالحا فالله يتولاه ، ومن كان خارجا على حدود الله فلا أعينه على خروجه ، ثم استدعاهم وأسمعهم مثل ذلك ، ثم ودعهم قائلا : انصرفوا عصمكم الله تعالى ، وأحسن الخلافة فيكم [٢] .

عدله وإنصافه .

لقد أقام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من نفسه حارسا للعدل لا يغفل ، وحاميا للإنصاف لا يقصر ، وميزانا للحق لا يحابى ولا يجامل ، وجعل الناس أمامه سواء ، لا فرق

[١] الآية رقم ١٩٦ من سورة الأعراف .
[٢] جعلكم خلفا حسنا لى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين غنيهم وفقيرهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وعظيمهم وحقيرهم ، وقريبهم وبعيدهم ، وحرهم وعبدهم ، فلا غرو أن ضربت الأمثال بعدله ، وسارت الركبان بإنصافه . وتلهف الناس أن يروا ذلك العدل العمرى المأثور أو يظفروا ببعضه ؛ لتستقيم أمورهم ، وتنتظم شئونهم ، ويسعدوا فى حياتهم بالرغد والرفاهية ، والسعادة والطمأنينة .

فقد استهل خلافته بعزل الولاة والحكام الظالمين ، من أمويين وغير أمويين ، ولم يثنه عن ذلك شفاعة ، ولا رحم ماسة ، ولما عزل رئيس الحرس تزاحم عليه الأمويون ليختار أحدهم ، فأعرض عنهم واختار عمرو بن مهاجر الأنصارى ؛ لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن العظيم ، ويبتعد بطاعته عن الرياء والسمعة ، وكان الموالى يحاربون قبله فى صفوف المسلمين ولا ينالون من الغنائم شيئا ، فجعل لهم منها أنصبة معينة ، ولقد عرف فضله العلويون ، وحمايته لهم ، ومنعه سب على فوق أعواد المنابر ، وكان قد درج على ذلك الخلفاء الأمويون قبل عمر ، فكانوا يسبون عليا فى نهاية الخطبة ، فأبطل أمير المؤمنين هذه العادة وأمر أن تختم الخطب بقول الله عز شأنه .

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون [١] » أو بقوله جل جلاله : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم » [٢]

ولقد استطاع أمير المؤمنين بعدله وإنصافه ، أن يملك قلوب رعيته ، ويمحو الأحقاد من النفوس ، ويميت العصبية الجاهلية ، التى أو شكت أن تقضى على دولة المروانيين وتقوض دعائم الحكم فيها ، لولا أن تداركها الله تعالى بأعدل الأمويين .

وفاته :

ومما يملأ النفوس أسى ولوعة أن المنية لم تمهله فاختطفه الموت فى العام الواحد بعد المائة من الهجرة ، وقد قضى فى حكمه الصالح سنتين وخمسة أشهر ، وعمره تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، ودفن بدير سمعان قرب حمص ، فاشتد الجزع لوفاته ، وتبارى الشعراء والأدباء فى رثائه ، رضى الله تعالى عنه ونضر تاريخه .

أحمد على منصور
أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

[١] الآية رقم ٩٠ من سورة النحل . [٢] الآية رقم ١٠ من سورة الحشر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رسالة الأزهر

« ٧ »

تابع الرسالة العلمية :

الواقع أن المتحدث عن رسالة الأزهر العلمية ، إنما يتحدث عن رسالة مصر العلمية ؛ ذلك لأن الأزهر قدرت له ظروفه التاريخية أن يحمل هو رسالة العلم ، وأن تسمى باسمه ، وتنسب إليه . فقد ورث هذا المعهد تراث الجامع العتيق (عمرو بن العاص) ورسالة جامع ابن طولون ، ورسالة جامع الحاكم ، ورسالة المدارس التى أنشأها السلطان الأيوبى لتدرس فيها المذاهب الأربعة بعد أن عطل الأزهر من كل حلية علمية حتى من خطبة يوم الجمعة . ويبدو أن تركيز رسالة مصر العلمية كلها فى الأزهر هى النسق الذى انساق إليه تفكيرى فى كتابة الرسالة العلمية لهذا المعهد ، حتى أننى فى متمالى السابق استقام لى أن أعد المداد التى أنشأها السلطان صلاح الدين بعد تعطيل الأزهر ـ استمراراً لرسالة الأزهر (١ وإن بعدت عنه ظاهرا كبنية مركبة من طوب وأحجار .

وخلاصة القول أن الرسالة العلمية لمصر قدر للأزهر أن يكون اسمه هو مظهرها ، وهو العلم عليها ، وهو المنطوق باسمه دون المساجد العلمية جميعاً . وقع ذلك فى الماضى البعيد ، ووقع فى أقرب الأزمنة الحديثة ، فلقد كان قبل تأسيس الكليات الأزهرية مساجد عدة تلقى فيها الدروس العلمية ، مثل جامع محمد بك أبى الذهب ، وجامع القلعة ، وجامع الحسين . وجامع الفاكهانى ، وجامع المؤيد وكثير غيرها ، ومع هذا التعدد فى الأسماء كانت النسبة إنما هى للأزهر . سواء فى مصر أو فى بلاد العروبة جميعاً .

بدأ الأزهر ـ كمعهد ـ يستعيد سيرته الأولى أيام كان معهد الفواطم . بدأ يستعيد ذلك فى عهد الظاهر بيبرس البندقدارى ، مستمرا فى أداء رسالة العلم إلى يومنا . فما الذى كان يدرس به من أنواع العلوم ؟ من العسير أن نحدد له فى هذه الأزمنة منهاجا معينا ؛ لأنه كان معهداً حرا يدرس كل من أراد الدراسة فى أى علم من علوم ذلك الوقت ، ويتخذ له فيه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(عموداً) كما كانوا يصطلحون يومئذ . هذا ولأن هذا العهد لم يكن عهد وضع مناهج مكتوبة محددة حتى ندور حول البحث عنها ، لنلتمسها فى أى مرجع تاريخى يعيننا لنا تعيينا بصفة قاطعة . ولكن الباحث لا يعدم وسيلة لأن يجد ما يقربه مما يريد . فقد وجدت منهاجا لما كان يدرس فى هذا المعهد يقترب من أن يكون هو منهج الدراسة فى الأزهر فى هذه العهود المتباعدة .

ذلك المنهج هو ما أخذته من أوثق المصادر . إننى أخذته من الإمام جلال الدين السيوطى لا من ترجمة غيره له ، وإنما من ترجمته هو لنفسه ، فقد عد العلوم التى صنف فيها الثلثمائة كتاب ما بين مطول كالإتقان فى تفسير القرآن . وكالمزهر فى علوم العربية وما بين وجيز مختصر . عد الرجل أنواع العلوم التى ألف فيها ، ومن يؤلف فى علم يكون - بالطبع - قد درسه حق دراسته ، لا سيما فى هذا العهد الذى هو عهد تحقيق وتدقيق فى كل ما كان يدرس من العلوم ، هذه العلوم هى : التفسير وتعلقاته ، والحديث وتعلقاته ، والفقه وتعلقاته ، والأجزاء المفردة : ويريد بها رسائله القصيرة فيما لا يحتاج إلى تطويل . وفن العربية وتعلقاته ، والأصول ، والبيان ، والتصوف ، وفن التاريخ ، وفن الأدب .

المنهاج الذى رسمه لنا السيوطى فى أهم العلوم التى ألف فيها ، ومما لا ريب فيه علوم كانت تدرس بالأزهر كأصول للدراسة العامة . ومعروف أن الشيخ السيوطى كان من علماء القرن التاسع الهجرى .

هناك علوم أخرى جاءت فى ترجمة معاصر له وأخ وزميل ، هو شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، فقد عثرت على ترجمة له فيها : أنه درس بالأزهر علوم الطب والهندسة ، والحساب ، والجبر والمقابلة . ورأيى أن هذه العلوم كانت تدرس فى الأزهر لا على أنها علوم أصيلة ، وإنما هى توسع فى المعرفة بطريقة نظرية بحتة لا تطبيق فيها وليست كما كانت تدرس فى عهد ابن سينا والكندى والرازى ، وغيرهم من الفلاسفة الذين قد تخصصوا لها ووعوها حق وعيها وطبقوا فيها العلم على العمل قدر الطاقة . وإلا فكيف استسيغ أن يعد الطب مثلا علما من علوم الأزهر فى عهد السيوطى والأنصارى - ليدرس نظريا فى (متن) من متون العلوم التى شاع استعمالها فى ذلك الوقت - كأساسات وجيزة لمختلف العلوم ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذا رجعنا برسالة العلم فى مصر إلى عهد سابق على هذا العهد لوجدنا أن كثيراً من مسائل الفقه الإسلامى قد تناول أصول الحكم ، مثلما كان يدرس فى مدرسة الإمام الشافعى بجامع عمرو بن العاص ، فإنه تناول هذا الموضوع بالبحث ، مثل أن يفتى بأن الخلافة يجب أن تكون فى قريش ، وهو يتابع فى ذلك الرأى أهل السنة ، وأن كل قرشى أخذ الخلافة بالسيف واجتمع عليه الناس فهو خليفة . ولا ريب أن هذا فقه فى نظام الحكم والحكومة ، كان يدرس بالأزهر لا على أنه دراسة للأوضاع الحكومية التى كان يجب التوسع فى دراستها إلى أبعد الآفاق ، وأن تؤلف فيها الكتب من الأزهريين الذين يحملون وحدهم مشعل العلم والمعرفة يومئذ اقتداء بالإمام الشافعى ، واقتداء بمن سبقه من العلماء الفلاسفة مثل المعلم الثانى أبى نصر الفارابى فى كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) ، وإنما كان يدرس ما كان يدرس منها بالأزهر على أنه مسألة فقهية (من المذهب) وكفى ، كالوضوء والطهارة ! ! ولو أن علماء الأزهر اقتدوا بالأئمة والفلاسفة ، بل وبالفاطميين أيضاً فى نشر مذهبهم الدينى الذى يحمل فى ثناياه مقومات سياسة الحكم على مذهبهم ، لكونوا من ذلك تكوينا سياسيا يضىء للناس سبيل الرشد فى عهود المماليك الظالمة العتاة ، الذين استغلوا جهل الناس بأحكام سياسة الحكم ، فأشبعوا رغباتهم الوحشية ظلما للناس وجبروتا .

لا أنكر أن من بين العلماء الأزهريين فى القرن السابع الهجرى من وصلت به رفعة الخلق إلى وصف مظالم الحكام ، وإلى الأنفة والكبرياء عليهم ، مثل الشيخ الصعيدى القوصى (ابن دقيق العيد) ، فكان يخاطب السلطان بما يخاطب به من دونه - بقوله (يا إنسان) . ثم يأبى قبول منصب القضاء إلا بعد إلحاح بالغ غايته ، ثم يعزل نفسه منه ، ثم يعيدونه إليه شبه مرغم ؛ لأنه فى زمن حكم المماليك الفاسد الظالم الذى وصفه كثيراً فى شعره . ومنه قوله :

أهل المناصب فى الدنيا مرفعتها ... أهل الفضائل مرذولون بينهم

قد أنزلونا لأنا غير جنسهم ... منازل الوحش فى الإهمال عندهم

فما لهم فى توقى ضيرنا نظر ... وما لهم فى ترقى قدرنا هممم

فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم ... مقدارهم عندنا أو لو دروه هم

لهم مريحان من جهل وفرط غنى ... وعندنا المتعبان العلم والعدم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومثل الشيخ جلال الدين المحلى الذى كان لا يأنف من شيء أنفته من مجالسة الظلمة من الحكام ، وكانوا يتقربون إليه فلا يقترب منهم ، وكانوا يذهبون إلى داره لزيارته فيأبى عليهم الإذن بدخول مجلسه . وليس لذلك ترجمة فى العالمين الجليلين اللذين ضربت بهما المثل - إلا أن العلم الدينى ومعرفة أسرار الإسلام رفعاهما إلى أعلى المراتب النفسية ، أمام من خضعت لهم رقاب الناس . وامتلأت قلوب الأقوام منهم رهبة وفزعا . وهكذا يفعل العلم بالخواص من أهله .

وسنزيد ذلك بيانا فى الموضوع الآتى إن شاء الله ؟

محمد الشبخ
عضو نقابة الصحفيين
والمحرر الأدبى بجريدة الشعب

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

« الشيخ سالم طلبه حجازى »

جاءتنا كلمة جيدة من الأستاذ عبد الحميد المسلوت ، أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية ، فى تأبين المرحوم العالم الجليل : الشيخ سالم طلبه حجازى ، نشرت صفحة زاهرة عن جهاده المشكور من أجل الدين والوطن ؛ فقد شارك - رحمه الله - كما جاء فيها - بحماس الشباب ، وحرارة الوطنية ، فى الحملة على الاستعمار ، وكان نصيبه الاعتقال ، كما ألهب الشعور بما حرره قلمه فى كثير من المجلات الأدبية والسياسية ، ونصب نفسه لمحاربة عصابات المبشرين التى كانت منتشرة حينذاك ، واعتمد فى إبطال كيدهم على المنطق والحجة والبرهان ، فهدى الله به الكثيرين ، ومكنه من رد دعوى المبطلين ، وظل يشارك - رحمه الله - طوال حياته فى الدعوة للخير ، ومساندة جمعيات المحافظة على القرآن الكريم . جزاه الله عن الإسلام والمسلمين والوطن خيرا ، وأنزله منازل الأبرار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدحة على بن الحسين
بين الفرزدق والحزين الكنانى

— ٢ —

تعرض الحصرى فى زهر الآداب لعلى بن الحسين وذكر قصته مع هشام بن عبد الملك أو الوليد أخيه ثم ساق القصيدة وعددها عنده ثلاثون بيتاً ، تتفق مع أبيات ديوان الفرزدق فى أكثرها ، وتزيد عليها أربعة أبيات ، ثم ذكر قصة الحزين الكنانى مع عبد الله بن عبد الملك ، ونسب البيتين (فى كفه خيزران - يغضى حياء) له . ثم ردد ما ذكره ابن رشيق فى العمدة .

ومن الممكن أن يصل الباحث إلى النتائج الآتية :

١ — أن البيتين (فى كفه خيزران - يغضى حياء) للحزين وليسا للفرزدق .

٢ — أن القصيدة المشهورة فى مدح على بن الحسين للفرزدق ، وأنه ارتجلها أمام هشام ابن عبد الملك .

٣ — لم يذكر أحد ممن رجعنا إليهم أن الكنانى مدح على بن الحسين إلا ما ورد فى بعض طبعات الحماسة ، وربما كان هذا صنيع أبى تمام ، وربما كان من زيادة الناشر اعتماداً على شهرة القصيدة فى على بن الحسين .

٤ — أن الحزين ارتجل البيتين اللذين رجحنا نسبتهما إليه أمام عبد الله بن عبد الملك فى المدينة ثم أدخلهما فى قصيدة مدحه بها وهو فى مصر ، يدل على ذلك روايتا الأغانى والتوفيق بينهما ، كما يدل على أنه مدحه وهو فى مصر مطلع القصيدة حيث ذكر أنه جاب البلاد من يثرب إلى العراقين إلى البصرة أهلها وأنها إلى اليمن (بين تمالق حتى الجرة اللعم) إلى دمشق ثم أتى مصر حيث وجد النائل العمم فحياه بالسلام وأنشده مدحته .

٥ — أن القصيدة التى قالها الفرزدق أو على وجه الدقة ارتجلها والتى تزيد فيها الرواة لم تنسب لأحد غيره فى على بن الحسين إلا للعين المنقرى حسب رواية ابن رشيق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٦ — أن الشعر نسب إلى جماعة من الشعراء غير الفرزدق والحزين ، نسب لداود ابن سلم فى قثم بن العباس حسب رواية الأغانى والعمدة ، ونسب لخالد بن يزيد مولى قثم فيه حسب رواية الأغانى أيضاً .

٧ — أن الممدوحين الذين جاءوا فى هذا الشعر هم على بن الحسين وعبد الله بن عبد الملك وقثم بن العباس وعبد العزيز بن مروان .

٨ — صنيع التبريزى شارح ديوان الحماسة يدل على أن أبا تمام ذكر « فى أصل الحماسة » الممدوح لأنه ـ أعنى التبريزى ـ بنى كلامه على أن الممدوح على بن الحسين فلم يذكره فى شرحه اكتفاء بذكره فى أصل الديوان .

٩ — صنيع صاحب الأغانى فى تدوينه قصيدة الفرزدق يدل على أنه ينوى الإحاطة بالقصيدة كلها ، لا أنه يريد أن يكتفى ببعض أبياتها ، وهذا يدل على أنه لم يكن فى حفظه غير ما ذكره ، وأن ما أضيف إليها ـ أو بعبارة أخرى ـ ما ورد فيها زائداً على ما ذكره أبو الفرج لم يكن يعرفه هذا المؤلف .

١٠ — ما رواه الأصمعى لا ينهض دليلا ، فهو لم يقل أن الرجل أنشأ ، وإنما قال (ناداه) فلا مانع أن يكون أخذ البيت الأول من قصيدة الفرزدق وضم إليه البيت الثانى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وأرى ـ وأظن أن الكثير ممن يقرءون هذا البحث يوافقوننى ـ على أن البيتين المشهورين إنما أضيفا إلى قصيدة الفرزدق من محى على بن الحسين وهم عدد الرمل والحصى والتراب ؛ ولأنهما بيتان من عيون الشعر ، أو لعل الفرزدق أغار عليهما ـ وكان فى الشعر غوارا ـ فأضافهما لنفسه ، وحوادث الفرزدق فى الإغارة على شعر غيره كثيرة .

حدث محمد بن سلام قال ، قال جميل من قصيدة :

وكنا إذا مامعشر جحفوا بنا ... ومرت جوارى طيرهم وتعيفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة ... وسوف نوفيها إذا الناس طففوا
ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

قال : فشد الفرزدق على هذا البيت وقال ، أنا أحق به منك ، وقال : لاتعد فيه ولم يكترث له .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وروى محمد بن سلام أيضاً عن كردين البصرى أن عريفهم عون بن ثعلبة علق بالفرزدق وقال : يا عدو الله ، سرقتنا قول صاحبنا الأعلم العبدى ، وذكر تسعة أبيات ، ثم قال ابن سلام : وهذه الأبيات للأعلم كلها فأدخلها الفرزدق فى قصيدته (عرفت بأعشاش) مع ماسرق من جميل فيها ، فقال له الفرزدق ـ أى لعون بن ثعلبة ـ اذهب فخذها من الرواة ! .

قال ، فخلى سبيله .

وعلل يحيى بن المنجم صنيع الفرزدق هذا بأنه إذا مر به شعر جيد رأى نفسه أحق به من قائله لفضله عليه فى الشعر ، ولأنه من جنس جيده لا ردىء غيره .

وقد لقيه أبو عمرو بن العلاء فى المربد فقال : يا أبا فراس ، أحدثت شيئا ؟ قال الفرزدق ، خذ ، ثم أنشده :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس

فقال أبو عمرو : سبحان الله ، هذا للتلبس ، فقال الفرزدق : اكتمها ، فلضوال الشعر أحب إلى من ضوال الإبل .

هذه حال الفرزدق ، ونوادره فى هذا الباب كثيرة ، فيترجح عندى أنه حين وقع على البيتين فى شعر الحزين ـ ولم يكن الحزين من فحول طبقته ـ اهتبلهما فى قصيدته المرتجلة ، فسارت فى الناس ، ولم يتنبه لها إلا القليل ، كصاحب الأغانى .

والعجب من صاحب الأغانى حيث رد هذا المديح فى البيتين اللذين أشاد بهما ابن قتيبة بدليل فى غاية الضعف ، حيث يرى أن هذا الشعر لا يمدح به مثل على ؛ لأن له من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

فأولا : البيتان من الشعر الجيد ، ولا سيما البيت الثانى (يغضى حياء) حتى أن ابن قتيبة جعلهما مما جاد معناه وحسن لفظه ، وحتى أضيفا إلى الفرزدق ، أو اغتصبهما هو على ما أرجح .

وثانياً : أن الشعر لا يرد لأنه دون مقام الممدوح ، ولو كان ذلك صحيحا لقضينا على كثير من المدائح النبوية بالوضع ؛ لأن أكثرها دون مقامه صلى الله عليه وسلم ، وأين الشعر الذى يليق به والبوصيرى يقول ـ وهو محق ـ :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

غاية المدح فى علاك ابتداء ليت شعرى ما تصنع الشعراء

وثالثاً : كان على صاحب الأغانى ألا يغفل عن المقام الذى قيلت فيه القصيدة ، فالفرزدق مرتجل ، والمرتجل يقول ما يليق بالممدوح وما لا يليق . على فرض تسليمنا بأن هذا المديح غير لائق .

وأما ما تنفج به ابن عبد ربه - وكان معجبا بنفسه - من تفضيله بيته (فتى زاده عز المهابة ذلة) على بيت الكنانى (يغضى حياء) فلعمرى ليس بذاك ، وبيته لا يقع بجوار بيت الكنانى ولا قريبا منه .

بقى أن قصيدة الفرزدق على حسب ما رويت فى ديوانه تشتمل على أبيات ضعيفة لا تليق بمثله ، والقصيدة كلها بعيدة عن طابع الفرزدق من إيثار الخشونة ، والغريب من الألفاظ ، ولكن يعلل هذا بأنها مرتجلة ، وهذه المسحة على هذه القصيدة ملموسة فى كل ما ارتجله الفرزدق من مقطعات ، والارتجال غير الروية ، وفى ذلك يقول ابن الرومى :

نار الروية نار غير منضجة وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لسرعتها لكنها سرعة تمضى مع الريح

لكننا - مع ذلك - لا يمكننا أن نقر أبياتا وردت فى القصيدة بلغت درجة من الضعف لا نعقل أنها تصدر عن شاعر كالفرزدق ، فالشاعر - وإن ارتجل - يحتفظ ببعض خصائصه على أن القصيدة على حسب رواية الديوان تبلغ سبعة وعشرين بيتا ، وعلى حسب رواية زهر الآداب تبلغ ثلاثين بيتا ، وما عرفنا الفرزدق حين يرتجل يصل إلى هذا الحد أو إلى قريب منه فمن المرجح عندى أن القصيدة أضيف إليها كثير ، وأنها كانت حين ارتجلها الفرزدق فى الحجم الذى دونه صاحب الأغانى أو تزيد قليلا ، وهذا القدر هو الذى يتفق مع طبع الفرزدق ، وينم على روحه ومشربه ، ويتمشى مع طريقته التى ألفها .

(وبعد) : فهذه نظرة سريعة فى هذه المدحة ، اعتمدت فيها على بعض الكتب التى تيسر لى الاطلاع عليها ، ولعل هناك من الكتب . أو من الباحثين من ينبئنا بغير هذا أو أن يضيف إليه جديدا ، وفوق كل ذى علم عليم ؟

على العمارى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نقـــد الكتب

القرآن المقدس

Der Heilige Qur-ân

تقرير عنه بقلم

الدكتور محمد عبد الله ماضى

مدير المعاهد الدينية

نشرت هذه الترجمة البعثة الأحمدية فى زيورخ وهامبورج ، تحت إشراف حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ، الخليفة الثانى للمسيح الموعود (كذا .) مرزا غلام أحمد ، والرئيس الأعلى للحركة الأحمدية الإسلامية .

الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ بمطبعة أتوهرسوفتس (Attoharrassowits)

بفيس بادن من مدن ألمانيا الغربية

هذه الترجمة أو هذا الكتاب يحتوى على مقدمة مفصلة وعلى ترجمة معانى القرآن باللغة الألمانية ، والمقدمة كتبها رئيس الطائفة الأحمدية الحالى « حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد » ، أما الترجمة نفسها فقد اختبرتها فى مواضع مختلفة ، وفى كثير من الآيات فى مختلف السور ، فوجدتها من خير الترجمات التى ظهرت للقرآن الكريم ، فى أسلوب دقيق محتاط ، ومحاولة بارعة لأداء المعنى ، الذى يدل عليه التعبير العربى المتناهى لآيات القرآن الكريم . وقد نبه المترجم إلى أنه ليس فى الاستطاعة نقل ما يؤديه الأسلوب العربى المحكم ، من الروعة البلاغية وسمات الإعجاز التى هى من خصائص القرآن إلى لغة أخرى ، فهى خصائص انفرد بها كتاب الله المنزل فى أسلوبه العربى ، الذى نزل به من عند الله على نبيه المرسل . والذى لا تبديل فيه ولا تحريف . فهو يمثل كلام الله فى معناه وفى مبناه ، وهذا فمن باب الاحتياط جعل النص

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العربى بجوار الترجمة الألمانية ؛ حتى يستطيع القارئ أن يقارن ويختار بنفسه المعنى الذى تطمئن نفسه إلى صحته .

وعلى وجه الخصوص اختبرت ترجمة الآيات التى تتعلق بالقتال والجهاد فى سبيل الله ؛ بحثاً عما عساه يكون قد ضمن الترجمة مما يتصل بما يراه الأحمدية فى الجهاد ، ويخالفون به جماعة المسلمين حيث إنهم يقولون : « إن الجهاد يجب ألا يقوم على امتشاق الحسام ، بل يجب أن يقوم على وسائل سلمية ، وعلى هذا أظهر الأحمدية دائماً ولاءهم لحكومة الاستعمار البريطانية » .

اختبرت ترجمة هـــذه الآيات المشار إليها ، فوجدتها سليمة لا تتضمن أدنى الإشارات إلى هذا الذى كنت أخشى أن تتضمنه .

وفى المقدمة أورد كاتبها بحوثاً إسلامية فلسفية قيمة ، وقسمها إلى قسمين تحدث فى القسم الأول منهما عن حاجة البشرية التى اقتضت نزول القرآن ، وبين أن الإسلام كان من تعاليمه وحدة الإله ، وكان من عوامل توحيد البشرية ، فذكر أنه لما ارتقت البشرية وأصبح الناس على اتصال يكونون جماعة واحدة ، أصبحوا فى حاجة إلى تعاليم سماوية شاملة ، تشمل الناس جميعا ، وتصلح لهم فى كل زمان ومكان ، وتدلهم على قدرة الله وعظمة رب الناس كافة ، فكان القرآن هو الذى أدى تلك الرسالة جميعها ، كما تحدث عن كتاب العهد القديم (التوراة) ، وكتاب العهد الجديد (الإنجيل) ، وبين أنه نالهما التحريف والتبديل فأصبحا معه لا يمثلان كتب الله المنزلة ، وذكر بعض المتناقضات فيهما وبعض المبادئ التى تخالف العقل ، وبعض الخرافات ، وبعض القواعد الخلقية غير الثابتة ، كما تحدث عما ورد فى التوراة والإنجيل من التبشير بظهور النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى غير ذلك مما أورده صاحب المقدمة فى القسم الأول .

وفى القسم الثانى من المقدمة كان الحديث عن : بناء القرآن ـ فذكر المؤلف ما سبق أن تعرض له ، من بيان أن القرآن هو الكتاب المقدس الذى يمثل كلام الله المنزل ، والذى حفظه الله من كل تحريف وتبديل ، وتحدث فى هذا الصدد عن المحافظة على القرآن بكل الوسائل المختلفة فى عهد الرسول من كتابة الوحى وتقييده ، ومن وعى الحفاظ له ، وتحدث كذلك عن ترتيب الآيات والسور ، مبينا أن ذلك كان بوحى من الله نزل على نبيه ، وتابع الحديث عن الأمور الآتية :

بعض النبوءات المصدقة التى وردت فى القرآن .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تشخيص تعاليم القرآن .
العقيدة عن الله الحى .
الأنبياء والملائكة والشيطان وفكرتها فى القرآن .
الخير والشر فى القرآن .
الروح فى القرآن .
المعجزات النبوية فى القرآن .
الصلاة ومساجد الإسلام .
الصيام والحج .
الزكاة والصدقة .
الحقوق والواجبات الاجتماعية .
النظام الاقتصادى .
حقوق المرأة .
مسألة الرق .
النفس الإنسانية أو الروح .
طريق القرآن المرسوم لتكوين الحياة الروحية .
طبيعة الإله .
الله رب الشعوب جميعها .
الله هو علة العلل فى الوجود .
صفات الإله وبيان أنه لا تناقض بينها .
أسماء الله الحسنى .
الإنسان كنقطة ارتكاز للحياة .
الغرض من خلق الإنسان .
قانون الطبيعة وقانون الشريعة .
القانون الخلقى والقانون الاجتماعى .
القرآن هو الكتاب المقدس الكامل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحياة بعد الموت . . . إلى غير ذلك من البحوث الدينية . . . . !

وإذا صرفنا النظر عن بعض التلميحات العامة غير الصريحة المتصلة بمذهب الأحمدية في الجهاد ، والتي وردت في صحيفة (١٣٤) من المقدمة تحت عنوان « المنازعات الدينية » . فإننا نجد أن المقدمة بقسميها اشتملت في الجملة على بحوث إسلامية رائعة . ونقلت صورة من الأفكار والتعاليم الإسلامية المتعلقة بالقرآن ، في ثوب وإطار إسلامي إلى اللغة الألمانية .

ولكن !

نعم ولكن مع الأسف الشديد ختمت هذه المقدمة بفصل عن المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) وعن ابنه الذي بشره الله به من قبل مولده (مرزا بشير الدين محمود أحمد) .

هذا الفصل الذي قد تضمن المبادئ الأحمدية التي تخالف تعاليم الإسلام ، والتي تدعي أن (مرزا غلام أحمد) هو المهدي المنتظر يتجسد فيه المسيح والنبي في وقت واحد ، فيدعي الأحمدية « أن (مرزا غلام أحمد) كان نبيا ينزل عليه الوحي ولكن رسالته لم تكن منفصلة عن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنما كانت امتدادا لها ، فلا يظهر بعد النبي محمد عليه الصلاة والسلام رسول آخر يأتينا بمبادئ سماوية جديدة ، لأن القرآن تضمن كل المبادئ السماوية ، ولكن يظهر المسيح المهدي ليعيد للإسلام سلطانه من جديد ، وليعيد لمبادئ الإسلام قوتها وليظهر صدقها ، ويكون ظهوره دليلا على صدق آيات القرآن التي أخبرت بظهور المسيح كما تحدثت بذلك السنة النبوية . [١] »

ولقد ظهر المسيح والمهدي المنتظر المزعوم وهو حضرة (مرزا غلام أحمد) من سنة ١٨٢٥ - سنة ١٩٠٨ ميلادية .

كما ادعى ذلك وأخبر به عن رب العالمين مؤسس الحركة الأحمدية الإسلامية في الإسلام ، فلقد أوحي إليه من الله من مدة تزيد على السبعين عاما أنه بعث لخدمة الإسلام وخدمة نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، وللعمل على رفعة اسم الله في الأرض . أخذا بالوحي أن الله أعطاه النبوة على شرط أن يبلغ تعاليم القرآن السماوية ويعمل على تنفيذها وألا يأتي بكتاب جديد ، لأنه يعتبر خليفة لرسول الإسلام محمد عليه السلام [٢]

---

[١] ص ١٥٧ من المقدمة الألمانية .

[٢] ص ١٥٨ من المقدمة الألمانية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم يتابع المؤلف حديثه عن بعض ما يدعى أنه أوحى إلى (مرزا غلام أحمد) ، مقتبسا ذلك من كتاب « حقيقة الوحى » ومن كتاب « براهين أحمدية » الذى ألفه « مرزا غلام أحمد) ، والذى ظهر المجلد الأول منه عام ١٨٨٠ وزعم المؤلف فيه أنه المهدى مع أنه لم يطالب أتباعه للبيعة إلا فى ٤ مارس ١٨٨٩ .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الصعوبات التى لاقاها (مرزا غلام أحمد) ، حينما أعلن اختياره للنبوة وبعثه ، وعن مقدار تأييد الله له ، ووحيه إليه بأنه سيؤيده بواسطة العلامات الكبرى ، وأنه سيعلو اسم الله بدعوته ، ويدوى فى أقصى أنحاء الأرض ، ويذكر أن دعوة هذا النبى المزعوم تأيدت ، وأنها ستمتد جذورها وتتسع ، وأن خلفاءه سوف يصلون إلى درجة القرب من الله ، كما أوحى بذلك إلى (مرزا غلام أحمد) .

ثم يذكر المؤلف أنه أوحى إلى (غلام أحمد) أن الله سيرزقه فى ظرف تسع سنوات ومن تاريخ نبوته بولد ، وسيحقق الله على يد هذا الولد الكثير من التنبؤات التى تنبأ بها ، وأنه سيحمل اسمه إلى أنحاء الدنيا ، جميعها وسيخطو سريعا من نصر إلى نصر ، وسيبارك بروح من الله .

ثم يعيد الحديث عن تفصيل الصعوبات التى لاقاها (غلام أحمد) حينما جهر بدعوته وأعلن عن رسالته . فيبين كيف قامت ضده عاصفة من المعارضة من كل جانب ، فتحالف ضده المسلمون والهندوس والمسيحيون والسك ، وأجمعوا أمرهم على إسقاطه والقضاء عليه ، ويدعى أن هذه المعارضة الإجماعية القوية كانت دليلا على اختيار الله له وبعثه إياه ، لأن مثل هذه المعارضة القوية الإجماعية لا تكون إلا للأنبياء الصادقين فى دعواهم ، فهم وحدهم الذين عليهم أن يتحملوا مثل هذا الكفاح ، ثم يختم هذا بقوله « ولكن الله قوى هذا الوحيد المحارب من كل طائفة ، حتى أخذ أعداؤه الأقوياء يسلمون ، ويتبعونه واحدا بعد الآخر ، فكثر أتباعه رويدا رويدا ، وكان له شأن يذكر فى البنجاب ، ثم فى الهند جميعها ، ثم فيما وراء ذلك من أنحاء العالم .

وبهذه النتيجة يصل المؤلف إلى صدق (مرزا غلام أحمد) فيما ادعاه .

وفى الحديث عن ابن المسيح الموعود الذى بشر به (مرزا غلام أحمد) يتحدث هذا الابن (مرزا بشير الدين محمود أحمد) ، عن موت مؤسس الحركة (مرزا غلام أحمد) ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سنة ١٩٠٨ ، وعن موقف خصوم الدعوة منه ، وتوقعهم بعد موته لحلول نهاية هذه الحركة واقتراب انحلالها بموته ، ثم عن اختيار (مولوى نور الدين الخليفة الأول لمرزا غلام أحمد) ، وعن وفاته سنة ١٩١٤ ، وبعد ذلك يأخذ الابن الموعود فى الحديث عن نفسه فى تلك الظروف ، ويبين أنه كان حينذاك مجرداً من كل الإمكانيات المادية ، وأنه كان له خصوم أقوياء ، مدعيا أنه فى هذه الظروف العصيبة أوحى الله إليه بمساعدته ونصره ، مذكراً بوعد الله الذى وعده أباه (مرزا غلام أحمد) ، فى أنه سيرزقه بغلام سيدوى اسمه فى كل الأرض ويحمل علم الرسالة ، ثم يعقب على هذا ويقول : « فتحقق وعد الله وأصبحت كلمة الله هى العليا ، ومع كل صباح منحت ما جعل نجاحى كبيراً ، وكل يوم ينقضى يترك ما يعجل بالقضاء على خصومى ، وكأن الله جعلنى أداة لنشر الحركة الأحمدية فى كل بقاع الدنيا ، ومع كل خطوة باركنى الله بتوجيه من عنده ، وفى فرص ومناسبات كثيرة فضلنى الله بوحيه . وأخيراً حل اليوم الذى أوحى الله فيه إلى : أننى الابن الموعود الذى وعد الله به المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) وقد وعده الله بقدومى فى عام ١٨٨٤ ، قبل مولدى بخمسة أعوام ، ومن هذا اليوم أخذت المعونة والمساعدة من الله تتزايد بأسرع مما سبق ، واليوم يمارس المبشرون بالأحمديه نشر الإسلام وكفاح الإسلام فى كل القارات » .

ثم يقول : « ولقد جعل الله القرآن الذى كان قد أصبح للمسلمين كتابا مغلقا ـ جعله الله لنا معشر الأحمدية ببركة النبى المقدس (محمد عليه السلام) وبواسطة المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) كتاب هداية ، وفتح لنا مغاليقه من جديد ، وغدت ينابيع المعرفة تتفتح لنا بواسطة القرآن ، ويستطرد فيقول : وعندما تنشد وتمتحن دائما تعاليم القرآن بالنسبة للتطورات العلمية الحديثة المتجددة يلهمنى الله ، ويوحى إلى بالجواب الصحيح الذى تتضمنه تعاليم القرآن . فلقد اختارنا الله لرفع علم سيادة القرآن » .

وهكذا نجد أن الحديث فى هذا الفصل الأخير من المقدمة كان إنكاراً وخروجا على العقيدة الإسلامية ، التى تقرر أن محمدا عليه الصلاة والسلام كان خاتم الأنبياء ، وأن رسالته كانت خاتمة الرسالات (فمرزا غلام أحمد) فيما ذكر المؤلف نبى أوحى إليه وأيد بروح الله ، كما أن المؤلف نفسه (مرزا بشير الدين محمود أحمد) صاحب المقدمة ، والرئيس الأعلى لطائفة الأحمدية الحالى ، والخليفة التالى لوالده ، يدعى لنفسه أيضا أنه يوحى اليه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبهذا يكون المؤلف قد « وضع السم فى العسل » ، فأفسد بذلك هذا العمل القيم الذى نوهنا به فى شأن الترجمة نفسها ، والبحوث الدينية الفلسفية القيمة التى وردت بالمقدمة .

ولذلك فإننا نقول : إن هذه الترجمة أو هذا الكتاب بوصفه الحالى وبما تضمنه من الحديث المشار إليه عن (مرزا غلام أحمد) وعن ابنه ينبغى مصادرته .

وحبذا لو كان من المستطاع فصل هذا الجزء الأخير عن الترجمة ، وعن المقدمة ، والعمل على نشرها دون هذا الجزء ، فإنه لو أمكن ذلك لكان فيه خير كثير .

الدكتور محمد عبد الله ماضى

المدير العام للمعاهد الدينية

رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ببيروت

يشكر فضيلة الأستاذ الأكبر

« ويشيد بالتعاون الأخوى بين الجمهورية العربية المتحدة ولبنان الشقيق »

حضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد . فبيد السرور والامتنان استلمنا كتابكم الكريم بتاريخ ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ الذى تكرمتم فيه بإعادة ندب الشيخ معوض عوض ابراهيم للوعظ والإرشاد فى لبنان . ويسرنا أن نجد فى فضيلتكم دوما وأبدا ، كما وجدنا لدى حكومة الجمهورية العربية الموقرة ، بشخص وزارة التربية والتعليم ، وفى مختلف السلطات العليا كل عضد ، وسند لمشروع جمعيتنا الثقافى الإسلامى فى بيروت والأوقاف ، هذا المشروع الذى يعتبر الدعامة الوحيدة الإسلام والعروبة فى الساحل اللبنانى ، ونرى لزاما علينا أن نشير إلى أن هذه الصلات ، التى ما برحتم تعملون فضيلتكم على توثيقها يعود تاريخها إلى نيف ومائة عام تقريبا ، عند ما كانت مختلف جامعات القاهرة تتقبل مجانا فى صفوفها بعثات الجمعية المدرسية ؛ لإتمام التحصيل العالى فى مختلف الفروع ، وفى الختام نرى لزاما علينا أن نشيد بالخدمات الجلى التى ما برح الأزهر الشريف يقدمها فى مختلف الحقول والميادين ، ليس للعالم العربى فى الشرق فحسب ، بل فى كافة أقطار المعمورة ، أخذ الله بيدكم وأبقاكم ذخرا للإسلام والمسلمين والعرب قاطبة . ووفقنا الله وإياكم لما فيه جمع الكلمة وتوثيق الصلات بين كافة الأقطار العربية والإسلامية . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أمضاء

(رئيس جمعية المقاصد الخيرية ببيروت)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

— ٧ —

فى ص (١٢٣) جعل مراجعة موسى لنبينا محمد عليهما الصلاة والسلام فى حديث الإسراء والمعراج من الإسرائيليات ، وجهل الذين يعتقدون صحة ذلك واعتبرهم من حشوية آخر الزمان إلى آخر ما نضح به قلمه من نبز وسباب ، وللرد على هذا أقول لهذا المؤلف :

إن الرمى بالقول على عواهنه من غير حجة وبرهان لا يليق بالباحث المنصف المتثبت ، وهل يقتضى ذكر موسى عليه السلام ومراجعته للنبي عليه السلام ليلة المعراج كى يخفف الله سبحانه على أمته الصلوات أن يكون من الإسرائيليات ؟ وعلى منطق المؤلف تكون كل الأحاديث التى ذكرت فضيلة لموسى أو لنبي من أنبياء بنى إسرائيل من الإسرائيليات ، وأعتقد أن هذا لا يقوله عاقل فضلا عن باحث ، وبحسب القارئ ماذكرته فى المقال السابق من موقف علماء الإسلام من أخبار بنى إسرائيل ، ولو أن حديث الإسراء والمعراج كان مرويا عن كعب الأحبار أو غيره من علماء بنى إسرائيل لجاز فى العقل أن يكون ذكر موسى عليه السلام من دسهم ، أما والحديث مروى عن بضع وعشرين صحابيا ليس فيهم ولا فيمن أخذ عنهم أحد من مسلمة أهل الكتاب فقد أصبح الاحتمال بعيداً كل البعد إن لم يكن غير ممكن فى منطق البحث الصحيح ، وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه « التنوير فى مولد السراج المنير » الصحابة الذين روى عنهم حديث الإسراء والمعراج فوصل بهم إلى خمس وعشرين صحابيا واعتبر الروايات الواردة فيه متواترة ونقل كلامه الحافظ الناقد ابن كثير فى تفسيره ووصفه بالإفاده والجوده (١) فهل يجوز عند العقلاء أن يكون للدس مجال فى هذا ؟ وقد خرج حديث المعراج البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة من طرق متعددة وقد استعرض هذه الروايات الإمام ابن كثير فى تفسيره

---

[١] انظر تفسير ابن كثير والبغوى ج ٥ ص ١٤٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فليرجع إليه من يريد زيادة اليقين ، ولم أر - فيما أعلم - عن أحد من أهل العلم الموثوق بهم أنه ذكر أن مراجعة موسى لنبينا عليهما السلام دسيسة إسرائيلية ، فهل خفى على علماء الأمة جميعهم ماتخيله هذا المؤلف ؟ ! ! ! وكان الأولى به أن يبحث عن السر فى المراجعة وحكمتها بدل التشكيك فيها ومحاولة بيان استلزامها لنفى علم الله عز شأنه وعلم رسوله مبلغ احتمال الأمة وقدرتها على أدائها قبل التخفيف . وأى ضير فى أن يعلم موسى عليه السلام بما سبق إليه من تجربة الناس ومعالجة بنى إسرائيل أشد المعالجة ماخفى على نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أشار عليه بالرجوع إلى ربه وطلب التخفيف حتى يرتب عليه المؤلف ما زعم ؟ ثم من قال إن فرض الصلوات خمسين وتخفيفها إلى خمس بسبب المراجعة تستلزم أن يكون الله سبحانه لايعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها حتى رتب عليه مارتب ؟ إن الله سبحانه يعلم كل ما كان وما يكون ، ويعلم أن نبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه سيسأله التخفيف على العباد ، وبسبب هذا السؤال سيخفف الصلوات من خمسين إلى خمس ، ولذلك سر وحكمة وهى إظهار رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة ومنته عليها بالتخفيف عليها بدليل قول الرب تعالى « أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » كما أن فيها إظهار منزلة النبى عند ربه بقبول شفاعته فى التخفيف عن أمته وبيان رأفته ورحمته بأمته باستماعه إلى مشورة أخيه موسى ولا تسل عما فى المراجعة من تكرار المناجاة بين العبد والمعبود والمحب والمحبوب .

* * *

فى ص (١٢٨) قال « الإسرائيليات فى فضل بيت المقدس » وذكر بعضا منها .

وفى ص (١٢٩) ذكر أن الأحاديث الصحيحة كانت فى أول الأمر فى فضل المسجد الحرام ومسجد الرسول ولكن بعد بناء قبة الصخرة ظهرت أحاديث فى فضلها وفضل المسجد الأقصى واعتبر ذكر المسجد الأقصى فى حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » من الإسرائيليات الموضوعة واستند فى دعواه إلى ما روى عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فقالت : إن شفانى الله لأخرجن فلأصلين فى بيت المقدس فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج فجاءت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرتها بذلك فقالت : اجلسى فكلى ما صنعت وصلى فى مسجد رسول الله ، فإنى سمعت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة » قال : ولو أن المسجد الأقصى كان قد ورد فيه تلك الأحاديث لما منعت ميمونة هذه المرأة من أن توفى بنذرها ! ! !

وللجواب على هذه المزاعم نقول :

١ — إننا لا ننكر أنه وضع فى فضل بيت المقدس والصخرة أحاديث وآثار كثيرة ولكن الذى ننكره حقا أن يكون ذكر بيت المقدس فى حديث « لا تشد الرحال » من قبيل الوضع والدس ، وأعتقد أنه من الإسراف فى الحكم والشطط فى البحث أن يجرد باحث بيت المقدس من الفضيلة ويعتبر كل ما ورد فيه من صنع بنى إسرائيل وكيف وفضل بيت المقدس لم يثبت بالأحاديث الصحيحة فحسب ؟ ولكنه ثبت ثبوتا قطعيا بالقرآن المتواتر الذى لا يتطرق إليه الشك قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . فلم يعد ثمت مجال للحدس والظن الذى لم يتم على أساس ولا يستند إلى دليل . وبيت المقدس قبلة الأنبياء السابقين ومهاجرهم ، وثانى المساجد التى وضعت فى الأرض وشرفت ، بناه حفيد الخليل يعقوب عليهما الصلاة والسلام وجدده نبى الله سليمان عليه السلام ، وإليه توجه المسلمون فى صلاتهم بعد الهجرة بضعة عشر شهرا ، فكيف يستبعد المؤلف أن يذكر هو ومسجد مكة والمدينة فى حديث وإن كان دونهما فى الفضل ؟ والمساجد الثلاثة يجمعها أنها آثار وتحمل ذكريات مجيدة لبعض أنبياء الله ورسله الكرام ، ولو أن المؤلف كان باحثا حقا لنقده من جهة سنده ومتنه نقداً علميا صحيحا بدل أن يلقى بالقول جزافا .

٢ — هذا الحديث رواه الإمامان الجليلان : البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وهما من هما فى علو كعبهما فى التصحيح ، ومعرفتهما التامة بالرجال والعلل ، ونظرهما الثاقب فى الكشف عن خفايا الأحاديث ، علاوة على أنه قد رواه غيرهما كابن حبان فى صحيحه ، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فى سننهم ، ورواه أحمد والبزار فى مسنديهما ، والطبرانى فى المعجم الكبير والأوسط ، وروى عن جمع من الصحابة كعمر وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وأبى بصرة الغفارى وأبيه وأبى الجعد (١) وقد تلقت الأمة هذا الحديث بالقبول ، واحتج به أئمة فطاحل

---

[١] انظر عمدة القارى على البخارى ج ٧ ص ٢٥٢ ط منير .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لايحصيهم العد ولا يشق لهم غبار فى النقد والبصر بالأحاديث من عصر السلف إلى وقتنا هذا . فهل كل هؤلاء خفى عليهم مالاح وظهر لهذا المؤلف ؟ ! !!

٣ — أما ما ذكره من قصة المرأة التى نذرت أن تصلى فى بيت المقدس إن شفاها الله الخ . فما يضحك الثكلى ! ومن قال يامن زعمت أنك طوفت فى عشرات الكتب والمراجع إن الفتوى على خلاف ما يدل عليه حديث أو العمل على خلافه يكون دليلا على كذبه ؟ لو كان الأمر كذلك لحكمنا على كثير من الأحاديث بالوضع والاختلاق .

قال العلامة ابن الصلاح « وهكذا نقول : إن عمل العالم أو فتياه على وفق حديث ليس حكما منه بصحة ذلك الحديث . وكذلك مخالفته للحديث ليس قدحا منه فى صحته ولا فى راويه والله أعلم »[1] والسيدة ميمونة استندت فى فتواها إلى هذا الحديث الذى يثبت أن الصلاة فى المسجدين أفضل من الصلاة فى المسجد الأقصى فيكون أداء النذر فى الأفضل أولى ولا سيما أن فيه راحة من مشقة السفر وهى امرأة .

قال الإمام العينى « واستدل قوم بهذا الحديث — حديث لا تشد الرحال — على أن من نذر إتيان أحد هذه المساجد لزمه ذلك وبه قال مالك وأحمد والشافعى فى البويطى . وقال أبو حنيفة لا يجب مطلقا ، وقال الشافعى فى الأم : يجب فى المسجد الحرام لتعلق النسك به بخلاف المسجدين الآخرين ، وقال ابن المنذر : يجب إلى الحرمين وأما الأقصى فلا واستأنس بحديث جابر أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم: إنى نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلى فى بيت المقدس قال صل ههنا[2] » فمدار الفتوى فى حديث جابر والسيدة ميمونة على أن من نذر الصلاة فى مفضول أجزأه الصلاة فى الأفضل ولا عكس[3] . وها نحن نرى أن الشافعى رحمه الله فى الأم أوجب أداء النذر فى المسجد الحرام دون المسجدين الآخرين المشرفين مع أن الشافعى ممن يرى صحة حديث « لا تشد الرحال » . وعلى منطق المؤلف فى البحث كان يلزم أن نقول استنادا إلى رأى الشافعى فى الأم : إن فضيلة المسجدين

---

١ — مقدمة ابن الصلاح ص ١٢١ ط حلب .

٢ — عمدة القارى ج ٧ ص ٢٥٣ .

٣ — المغنى والشرح الكبير ج ١١ ص ٣٥٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مسجد المدينة ، والأقصى غير ثابتة وإن ذكرها فى الحديث اختلاق ، وهو منهج فى البحث سقيم لم نر له مثيلا فى القديم ولا فى الحديث .

* * *

فى ص (١٢١) ذكر تحت عنوان « اليد اليهودية فى تفضيل الشام » حديث الصحيحين المرفوع ولفظه « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » قال : روى البخارى هم بالشام .

ونحن لا ننكر فى أن بلاد الشام وغيرها من بلاد الإسلام قد وضعت فيها أحاديث كثيرة بداعى العصبية الوطنية ، وقد سبق أئمة الحديث وصيارفته إلى بيان ذلك من منذ مئات السنين ، ولكن الذى ننكره على المؤلف الطعن فى الأحاديث الصحيحة بالظن من غير تثبت ، أو اعتمادا على تأويل مؤول للحديث .

وليس أدل على هذا من ذكره هذا الحديث واعتباره من صنع اليد اليهودية ، وأى فائدة تعود على اليهود من هذا ، وبلاد الشام ليست بلادهم وإنما هى بلاد العرب قبل أن تكون بلادا لهم ؟ وهل يعقل من اليهود فى سبيل التزلف إلى بنى أمية أن يضعوا هذا الحديث الذى يدل على بقاء الإسلام وبقاء سلطانه ، وبقاء هذه الطائفة الثابتة على الحق من الأمة المحمدية إلى يوم القيامة ؟ وكيف وهم يدعون أنهم شعب الله المختار ـ كذبا وزورا ـ وأنهم أحق الشعوب بالبقاء ، لقد وصفهم المؤلف بالدهاء والمكر ، فكيف يضعون أحاديث تعلى بنيان أعدائهم وتقوض بيتهم من أساسه ؟ الحق أن المؤلف يريد منا أن نلغى عقولنا .

وهذا الحديث رواه الشيخان فى صحيحيهما ، رواه البخارى فى « كتاب الاعتصام » عن المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » والرواية التى أشار إليها المؤلف رواها البخارى فى باب بعد علامات النبوة ببابين ، عن عمير بن هانئ أنه سمع معاوية يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون » قال عمير : فقال مالك بن يخامر : قال معاذ : وهم بالشام فقال معاوية : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول وهم بالشام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ورواه مسلم فى صحيحه عن ثوبان وعن المغيرة بن شعبة وعن معاوية وعن جابر بن عبدالله وليس فى رواية مسلم عن معاوية « قال معاذ وهم بالشام » ورواه غير البخارى ومسلم .

ومما ينبغى أن يتنبه إليه أن قول معاذ ليس من الحديث المرفوع كما يوهم صنيع المؤلف وإنما هو تأويل لمعاذ فى الحديث ، أما المرفوع فليس فيه هـــذه الزيادة ، قال البدر العينى فى شرحه على البخارى « وحديث مالك هذا ـ يعنى مالك بن يخامر عن معاذ ـ غير مرفوع » وقد فسر البخارى هذه الطائفة فقال بعد إيراد الترجمة للحديث : وهم أهل العلم ، وعن على ابن المدينى أنه قال : هم أصحاب الحديث ، وكذا روى عن الإمام أحمد ، وقيل غير ذلك ، وهكذا نرى أن الأئمة من لدن الصحابة اختلفوا فى تعيين المراد من هذه الطائفة ، فتخريج الإمام البخارى لهذه الرواية عن معاذ فى فهم الحديث لا ينهض دليلا للطعن فى الحديث الصحيح واعتباره من دسائس اليهود .

وكذلك قول بعض العلماء فى الحـــديث الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن سعد ابن أبى وقاص مرفوعا « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » أن المراد بهم أهل الشام لا ينهض للطعن فى الحـــديث ، وذكره مع أحاديث نبه العلماء على وضعها فى قرن واحد .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ومن عجيب أمر هذا المؤلف أنه يعتمد فى نقل بعض الأحاديث التى توافق هواه على كتب الأدب كنهاية الأرب ، وكتب التاريخ « كالمعجب فى تلخيص أخبار المغرب » على حين يطعن فى أحاديث فى الصحيحين بالوضع ما دامت على غير هواه ، ولا أدرى كيف غاب عنه أن كتب الأدب والتواريخ ونحوها تجمع الغث والسمين والمقبول والمردود فكيف يعتمد عليها فيما ينتقل ؟ ألا إن المعول عليه فى السنة هى كتب الحديث المعتمدة التى تبرز الأسانيد أو تعزو الأحاديث وتميز بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تعليقات

حول مؤتمر الأدباء

حينما أراد ابن عبد ربه الأندلسي أن يبتدئ الحديث عن العلم والأدب في كتابه « العقد » ، افتتح ذلك بقوله : « ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه في العلم والأدب ، فإنهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا . وفرق ما بين الإنسان وسائر الحيوان ، وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية ؛ وهما مادة العقل ، وسراج البدن ، ونور القلب ، وعماد الروح . . . » . ثم يقول : « والطفل الصغير لو لم تعرفه أدبا ، وتلقنه كتابا ، كان كأبله البهائم وأضل الدواب » ! ! :

ومن مثل هذا البيان نستطيع أن ندرك مكانة الأدب في الحياة ، وتأثير الأدب في المجتمع ولقد شاء الله للأدباء في الأمة العربية أن يجتمعوا منذ سنوات فيكونوا لهم جماعة ، ويعقدوا مؤتمرا يتدارسون فيه شئون الفكر والأدب ؛ ولقد تلقيت دعوة كريمة من حكومة الكويت الشقيقة للاشتراك في الدورة الرابعة لمؤتمر الأدباء التي انعقدت في الكويت ، وبدأت يوم السبت ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٨ وانتهت في يوم الأحد ٢٨ من الشهر المذكور ، وتفضل الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر فأصدر قرارا بقبولي هذه الدعوة والاشتراك في المؤتمر ؛ وكان هذا الاشتراك فرصة للالتقاء بمجموعة ضخمة من أدباء الأمة وشعرائها ومفكريها وذوي الرأي فيها ، فوق اشتراكي في مناقشات المؤتمر واقتراحاته وبعض لجانه .

ولقد كان للمؤتمر موضوعان رئيسيان خصهما بالعناية والبحث : الأول منهما هو البطولة كما يصورها الأدب العربي في مختلف عصوره ، والآخر هو مشكلات الكتاب العربي ، وتشمل النشر والتوزيع والترجمة وبعث التراث . . . وقد بحث المؤتمر الموضوع الأول عن طريق بحوث تلقى ، ويعقبها تعقيبات ومناقشات ومقترحات . وبحث الموضوع الثاني عن طريق لجان تقدمت في نهاية بحثها بتوصيات ، ويبدو من هذا أن الموضوع الأول قد لاقى من كثرة المشتركين في الكلام والسامعين له أكثر من الموضوع الآخر الذي كان أمره محصورا داخل نطاق اللجان . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعلى الرغم من النظام الذى كان مستتبا فى المؤتمر بفضل الجهود الكبيرة التى بذلتها حكومة الكويت ودائرة المعارف فيها ، وعلى الرغم من النجاح الذى ناله المؤتمر بصفة عامة ، ليس هناك ما يمنع من إبداء بعض الملاحظات التى لاحظتها ، وقد يكون فى تسجيلها وفاء بحق التاريخ من جهة ، وحق التوجيه الخالص من جهة أخرى .

ألاحظ أن أصحاب البحوث التى دارت حول البطولة لم يعرفوا البطولة تعريفا كافيا شافيا ، أو تعريفا « جامعا مانعا » كما نقول فى الأزهر ، فقد عرف بعضهم البطولة بأنها الشجاعة ، وأنها سمو وتشوف الكمال ، ورياضة للروح والجسم ، وتعبير عن طاقة قوية منفردة . وهذا باحث ثان يقرر أن البطل هو ذلك الفرد الذى تتمثل فيه رغبات مجموع من الناس وآماله ، والذى يدرك بإحساسه المرهف وذكائه الوقاد وعبقريته النادرة مطامح مجتمعه وأمانيه ، فإذا به فى طليعة من يسعى لهذه المطامح ، ويكافح لتحقيق هذه الأمانى !! .

وهذا ثالث يعرف البطولة بأنها مثل أعلى لا يزال البشر يسعون اليه ، وعنوان بارز من عناوين المجد والرفعة المعنوية ما فتئ الإنسان يحرص على شرف الانتساب إليه والاتصاف به ، وروح ما انفكت المجتمعات تنفخه فى أجيالها ! ! . . وهذا باحث رابع يعرف البطولة بأنها بطولة رأى وكفاح من دون هذا الرأى ، وبطولة تجرد وجهاد فى سبيل هذا التجرد !! .

وهكذا ظل الأعضاء الباحثون فى أغلب جلسات المؤتمر يطلعون علينا بتعاريف للبطولة بعضها يتقارب ، وبعضها يتضارب ولذلك قلت فى إحدى مناقشاتى : إن تنظيم البحوث عن البطولة كان يقتضى أن تبدأ هذه البحوث ببحث عن تعريف البطولة وتبيان المراد بها ، حتى يستقر الأعضاء فى ذلك على منهج وطريق ، وأبديت خشيتى أن نخرج من جلسات المؤتمر دون أن نتفق على تعريف للبطولة ، لأن كل باحث يصورها من زاوية رأيه الخاص أو اتجاهه المعين .

وقد يتصل بهذا الموضوع أن الباحثين فى المؤتمر لم يعمدوا بأن يشيروا إلى المصادر والمراجع القديمة والحديثة التى بحثت موضوع البطولة ، أو كانت تحوم حول حماها من قرب أو بعد ، ولذلك اقترحت على المؤتمر أن يعنى بوضع قائمة تتضمن الكتب التى تحدثت عن البطولة والفروسية والفتوة بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر ، وأنا أذكر من هذه الكتب كتاب « الفروسية » لابن القيم ، وكتاب « غرر الخصائص الواضحة » للوطواط .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وديوان الحماسة لأبى تمام ، وديوان الحماسه لأبى عبادة البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ . وديوان الحماسة لأبى السعادات الشجرى العلوى المتوفى سنة ٤٥٢ ، وكتاب الحماسة البصرية لأبى الحسن البصرى المتوفى سنة ٦٤٧ ، وديوان الحماسة للعسكرى ، وديوان الحماسة لأبى الحسن شميم الأندلسى المتوفى سنة ٦٥٣ ، وكتاب الفتوة عند العرب لعمر الدسوقى ، وكتاب أيام العرب فى الجاهلية ، وقصص العرب لعلى البجاوى وأبو الفضل إبراهيم ، وكتاب الملامتية والصوفية وأهل الفتوة لأبى العلا عفيفى ، وكتاب المروءة لبشر فارس ، وكتاب الفتوة والفتيان قديماً وحديثاً لمصطفى جواد ، وكتاب بطل الأبطال لعبد الرحمن عزام ، وكتاب صور من البطولة لمحمد أحمد الحوفى ، وكتاب الأبطال لكارليل . الخ

* * *

ومن غرائب البحوث فى هذا المؤتمر أن باحثاً قد ألقى بحثاً صبغه بصبغة التفسير المادى الصرف للتاريخ ، وأسرف فى الخروج على الموضوع المخصص له ، وقد قرر فى هذا البحث أن حركة « القرامطة » من « حركات البطولة القليلة المثال فى المجتمع الإسلامى . وأنها حملت لواء الإصلاح الاجتماعى ، وكانت أروع حركات الإصلاح وأكثرها تنظيما » ! .

يقول الباحث هذا عن حركة « القرامطة » التى ظهرت فى عهد المعتضد فى البحرين والعراق والشام . والتى أشعل أصحابها نار الفتنة التى أصابت المسلمين بالبلايا ، وأضاعت الأمن من طريق المسلمين إلى بيت المقدس ، وأحرقوا مسجد الرصافة ، وقتلوا الكثيرين ، وسلبوا البلاد والقرى .

والقرامطة هم الذين أعملوا التقتيل والتخريب فى البصرة ، وقطعوا الطريق على الحجاج ، وأخذوا منهم الجمال وما أرادوه من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان ، وحبسوا الكثيرين منهم فى الصحراء ، حتى ماتوا جوعاً وعطشاً من حرارة الشمس ، وفعلوا مثل ذلك التخريب والتقتيل فى الكوفة والأنبار ، وعاثوا فى أرض الجزيرة [illegible]

والقرامطة هم الذين كانوا يكفرون المسلمين ، ويقولون : إن لهم إماماً هو « المهدى » . ووصل بهم الأمر أن زعيمهم كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله ، وكان إذا كره رجلا يقول عنه : « إنه مريض » - يعنى أنه قد شك فى دينه - ويأمر بقتله ! .

والقرامطة هم الذين هاجموا مكة يوم التروية سنة ٢١٧ ولم يرعوا للبيت الحرام حرمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو كرامة ، بل نهبوا الحجاج و قتلوهم فى المسجد الحرام ، وفى جانب الكعبة نفسها ، وخلعوا الحجر الأسود من مكانه و نقلوه إلى « هجر » . وقلعوا باب الكعبة أيضاً ، ورموا الكثير من القتلى فى بئر زمزم ، والباقون دفنوهم فى المسجد الحرام بلا غسل ولا كفن . وأخذوا كسوة البيت فقسموها بينهم ، ونهبوا دور مكة ! . ومن العجيب مع هذا أنهم كانوا ينسبون أنفسهم للتشيع لآل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام .

يقول المؤرخ المنصف المرحوم الشيخ محمد الخضرى فى كتابه « تاريخ الأمم الإسلامية » تعليقاً على ذلك ما نصه : « ولم يحصل فى التاريخ أن انتهكت حرمة هذا البيت إلى هذا الحد ، حتى إن المهدى عبيد الله العلوى لما علم ذلك كتب إلى أبى طاهر ينكر عليه ذلك ويلومه ، ويلعنه ويقيم عليه القيامة ، ويقول : « قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت ؛ وإن لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلى مكانه ، وترد كسوة الكعبة ، فأنا برىء منك فى الدنيا والآخرة . . . ولما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود ، واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة فرده وقال : إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ، ولا أقدر على منعهم » .

ولم يرد القرامطة الحجر الأسود إلا مضطرين خائفين ، بدليل أنهم قد طولبوا برد هذا الحجر قبل ذلك ولكنهم رفضوا ، وهذا هو المؤرخ المعتدل الشيخ الخضرى يقول فى موضع آخر : « لم تزل القرامطة على حالهم فى الإفساد والعيث واعتراض الحجاج ، وفى سنة ٣٣٢ أرسل محمد بن ياقوت رسولا إلى أبى طاهر - زعيم القرامطة حينئذ - يدعوه إلى طاعة الخليفة ليقره على ما بيده من البلاد ، ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان ، ويحسن إليه ، ويلتمس أن يكف عن الحاج جميعهم ، وأن يرد الحجر الأسود إلى موضعه بمكة ، فأجاب أبو طاهر إلى أنه لا يعترض الحاج ، ولا يصيبهم بمكروه ، ولم يجب إلى رد الحجر الأسود إلى مكة ،

وسأل أن تطلق له الميرة من البصرة ليخطب للخليفة بهجر ؛ فسار الحاج إلى مكة هذه السنة ولم يعترضهم القرمطى ؛ ولكنه فى سنة ٣٣٣ اعترضهم فخرج جماعة من العلويين بالكوفة إلى أبى طاهر فسألوه أن يكف عن الحاج فكف عنهم ، وشرط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد فرجعوا ، ولم يحج هذه السنة من العراق أحد ، وسار أبو طاهر إلى الكوفة فأقام بها عدة أيام ، ورحل عنها » ! ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهكذا نرى أن القرامطة كانوا يبغون ويطغون كلما تهيأت لهم الفرص ، وينكمشون أو يتراجعون إذا لم تواتهم فرصة ، ومهما يكن فقد كان منهم ما كان من الكوارث العظمى التي حلت بالأمة الإسلامية كما يعبر الشيخ الخضري في موضع ثالث .

أمثل هذه الحركة يقال عنها إنها حركة بطولة ، وإنها كانت أروع حركات الإصلاح وأكثرها تنظيما ؟ ! ... ولو فرضنا وتصورنا أن كلاما كهذا يقال في مؤتمر هدام أفيصح أن يقال في مؤتمر عربي للأدباء العرب في بلد عربي إسلامي هو الكويت ؟ ! ...

وقد وقفت في نفس الجلسة التي ألقى فيها البحث السابق ، وناقشت صاحبه فيما ذهب إليه ، كما ناقشه غيري بعد ذلك . وكان من المضحك أن نسمع متحدثا يصف محاولة « سجاح » المتنبئة الكذابة بأنها بطولة ! . . نعم « سجاح » التغلبية التي كان لها مع « مسيلمة » الكذاب مواقف مخجلة وأنباء مخزية ، وعلى الرغم من تزيد الكاتبين عن « سجاح » نجد أن ما ذكرته المصادر المتزنة عنها شيء يستحي منه الإنسان وهو يطالعه فكيف وهو يقوله أو يحكم بأنه بطولة ؟ ! ... ولماذا إذن لم يعد هذا الباحث « مسيلمة » من بين الأبطال ، وقد كان مسيلمة في ادعائه وتنبئه وكذبه أرفع ذكرا وأوسع خطرا من « سجاح » ؟ ! ...

ووقف باحث آخر يتحدث عن ابن هانئ الأندلسي وكيف صور البطولة في شعره ، فيقول : « لذلك نراه يرفع من منزلة المعز مثلا ، ويسمو به عن مستوى البشر العام ، حتى يكاد يخرجه عن دائرتهم ، فجاء شعره طافحا بصفات البطولة النادرة . ومغاليا في تشخيص آثارها ، ويكفي أن أذكركم بالقصيدة الشهيرة :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار

وكأنما أنت النبي محمد ... وكأنما أنصارك الأنصار »

وهذان البيتان صريحان في أن قائلهما لم يتقيد بأصول الدين ، ولم يلتزم الأدب مع الله ، بل شط شطط الزنادقة والملحدين ، فنسب إلى ممدوحه ـ وهو بشر ـ صفات الألوهية الصريحة ، بل تجرح فجعله أقوى من الأقدار ، وفوق هذا فأسلوب المديح سمج نافر ، لأن المبالغة المجنونة الكذوب التي جاءت فيه فجته وشوهته ، ولا يكفي في التعليق على هذا أن يقال : « إنه يسمو بممدوحه عن مستوى البشر العام » ، وهل هناك مستوى خاص لم يسم به عنه ؟ ... ولا يكفي أن يقال : « حتى يكاد يخرجه عن دائرتهم » ... لأنه قد أخرجه عن دائرتهم فعلا ، بل بلغ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

به حمقه أن جعل مشيئته فوق مشيئة الأقدار ، وجعله « الواحد القهار » !!.. وإذا كان هذا الممدوح قد بلغ هذه المرتبة الخيالية التي توهمها تهجم المادح ، فكيف يقال إنها بطولة وقد أوغلت فى التهجم الكاذب على حمى الألوهية ؟ ! .

رفقا بموازين الحكم الأدبى ورفقا بالدقة فى التعبير ، أيها الأدباء !! ... أيقال هذا فى جمع له مكانته وقيمته ؛ ثم لا نقف لتفنيده وإظهار كلمة الحق أمامه ؟ ... « تلك إذن قسمة ضيزى » !! .

وبينما يسرف أحد الباحثين فى الحكم حين يقول : « وتخليد الأبطال إنما أريد به رفعهم إلى مستوى الآلهة ، وذلك تسليم مطلق بقدرتهم الخارقة » نجد باحثا آخر يناقضه فيبخس الحقيقة والواقع التاريخى بخسا شديدا حينما يقصر أمر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على البطولة والعبقرية فقط ، دون أن يدخل فى حساب حكمه على الرسل أنهم أنبياء ورسل يوحى إليهم !! ...

الأول يتوسع توسعاً مؤلما فيقرر أن تمجيد ذكريات الأبطال رفع لهم إلى مستوى الألوهية ، ويستحمل فى ذلك لفظ « إنما » الذى يفيد القصر والحصر ، فكأنه لم يخلد الناس بطلا من الأبطال إلا ليجعلوه إلها أو كإلاله ؛ والآخر يهضم الرسل حقهم الأصيل ، وصفتهم المميزة وهى أنهم بشر صنعهم الله على عينه ؟ وعصمهم بالنبوة والرسالة ، وأوحى إليهم ما أوحى ..

وبطبيعة الحال وقفت لأناقش ، لا بروح رجل الدين الغيور فقط ، بل بروح المنصف الذى يهوله أن يرى الحقائق تشوه وتحرف ... واقترحت على المؤتمر أن يخصص بحث لتفصيل الحديث عن « بطولة الأنبياء » ؛ لأنها بطولة من نوع خاص ، اقترحت أن يكون هناك موضوع مستقل للحديث عن « بطل الأبطال محمد عليه الصلاة والسلام » ؛ لأنه بطل العرب جميعا وبطل المسلمين بأسرهم فوق أنه نبى رسول ! !

وقد جاءت إشارات عابرة فى أحد البحوث عن البطولة فى القرآن ، ولم تكن تلك الإشارات غرضا أساسياً للباحث كما ذكرت خلال المؤتمر ، ولذلك اقترحت أن يخصص بحث للحديث عن « ألوان البطولة كما يصورها القرآن الكريم » . وهذا فوق قيمته الأدبية يحقق غرضا له قيمته ومكانته وهو حسن الجمع بين العقيدة والأدب ، حتى يستمد الأدب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى بعض نواحيه من نبع الأدب الدينى ، وحتى تتوثق الصلة بين رجل الدين ورجل الأدب ، ليلتقيا على شرعة سواء فى خدمة العقيدة السامية والأدب الكريم ؛ ولعل هذا كان من بين الدوافع التى دفعتنى إلى أن اقترح على المؤتمر جعل شخصية معنوية للأزهر الشريف ، فيوجه المؤتمر فى الدورات القادمة الدعوة إلى الأزهر ليكون له وفد فى هذه الدورات يشارك فى بحوثها ويسهم فى حسن الجمع بين رحاب الدين ورحاب الأدب ... وقد أبنت أن الأزهر الشريف بعمره الطويل الذى زاد على ألف عام قد حفظ التراث العربى والتراث الأدبى بجوار حفظه للتراث الدينى ، وكان الأزهر خلال هذا العمر المديد حصنا حصينا لعلوم العربية ومواريثها الأدبية ، وما زال الأزهر ينهض برسالته حتى اليوم ...

ولاحظت أن مستوى الحفاظ على اللغة العربية السليمة وعلى قواعدها الأصيلة يوحى بإهمال عدد كبير من الأدباء ، فهم فى بحوثهم وإلقائهم لا يعنون العناية الواجبة بسلامة العبارة ولا بجودة الأسلوب ، ولا بالضبط اللغوى أو الصرفى للألفاظ ، ولا بمراعاة النحو فى الكلام ، وقد تأذت النفوس والآذان مما سمعته أحيانا كثيرة من لحن وخطأ وتحريف ؛ وكان هذا داعيا إلى أن أتقدم باقتراح ظاهره الدعابة وباطنه الجد ، وهو أن يقف المؤتمر جلسته دقائق حدادا على المرحوم « سيبويه » حتى تهدأ عظامه فى قبره ! ! . . .

إن اللغة من أقوى الدعائم فى ميدان الأدب وميدان القومية وميدان الوحدة ، فالواجب علينا أن نعطيها حقها من الرعاية والعناية ، وإذا كان هذا واجب الأمة العربية كلها ، فإنه على الأدباء أوجب ولهم ألزم ؛ لأنهم ألسنة هذه الأمة ، وهم الذين يترجمون أفكارها وعواطفها بالكلمة والتبيان . والأدب فكرة وصورة ، وكلما كانت الفكرة جليلة احتاجت إلى عبارة سليمة وكريمة ، فلا تنسوا واجب اللغة والنحو أيها الأدباء ! ! . . .

ومن الأمور الشكلية التى كانت فى المؤتمر أن كثيراً من المتحدثين كانوا يبدءون حديثهم بقولهم : « تحية أدبية » أو « تحية الأدب » أو « تحية عربية » أو « تحية العروبة » ؛ وكنا نتساءل : وما تحية الأدب ! وما تحية العروبة ؟ . . . ألا يصح أن نتفق عليها حتى نرددها بدل الاقتصار بعبارة مبهمة كهذه ؟ . . . وما المانع من أن تكون تحية الأدب والعروبة هى تحية الإسلام وتحية العرب المؤمنين وتحية الإنسانية الفاضلة كلها ، وهى تحية : « السلام عليكم ورحمة الله » ؟ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إننا لا نريد أن تظل تلك الفجوة المصطنعة بين القومية العربية والإسلام ، وليس واجبنا أن نبحث عن وجوه التمايز بينهما ، إن كان هناك وجوه اختلاف . بل واجبنا أن نؤكد أسباب الاتفاق والوفاق والاتساق بين القومية والعقيدة . لأن القومية تكسب بهذا قوة واعتزازا . ولأن العقيدة تكسب بهذا تمكنا من نفوس العرب المؤمنين .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

أضـــواء

* * *

طريق السؤدد

بدراسة القرآن الكريم ، ومايتصل به من مصادر الرسالة الإسلامية ، وإعداد الأزهر لذلك على الوجه الأكمل ، نصل إلى الخير ، وإلى السعادة ، وتمتعد الجمهورية العربية المتحدة قمة المجد .

الأستاذ الأكبر الشيخ

محمود شلتوت

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أتباع ديوى

إن أتباع ديوى يعيشون على أرض هـذا الوطن غرباء ، وآن لهم أن يدركوا مقومات هذا الوطن العزيز ، وتوجيه هذه الثورة البناءة ، إن هم أرادوا تنظيم التوجيه ، وإيجاد وعى سليم عن طريق التربية .

الدكتور محمد البهى

* * *

اتحاد العرب والمسلمين

كل ما قصد إلى توهين اتحادنا (نحن العرب والمسلمين) ، وبث روح الفرقة والعصبية ، والشعوبية الجاهلية بيننا . لا يخدم إلا أهداف العدو ، ولا يورثنا إلا الضعف .

الدكتور محمد محمد حسين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

وقف تدريس الكتب

التى تتضمن مساسا بالقومية العربية

قال الأستاذ أحمد حلمى المدير المساعد للتعليم الأجنبي : إن ٦٤ مدرسة أجنبية فى الإسكندرية تضم ٢٤ ألف طالب وطالبة ، تقـــدمت بإقرارات تتضمن عدم تدريس أى كتاب فيه مساس بالروح القومية العربية ، كما تم جمع الكتب المخالفة لهذا الشعور وأعدمت .

مؤسسة للثقافة العمالية

أعلن السيد وزير الشئون الاجتماعية التنفيذى بالإقليم المصرى ، فى مؤتمر اتحاد العمال ، أنه سينظر بعين الاعتبار ، إلى المشروع الخاص بإقامة مؤسسة للثقافة العمالية .

مدرسة لتدريس اللغة العربية بفينا

قررت حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، منح إعانة مالية لإحدى الجمعيات بالنمسا ، لبناء مدرسة لتدريس اللغة العربية بفينا .

دائرة معارف عن آسيا وإفريقيا

يقوم مجلس الفنون والآداب بإعداد دائرة معارف عن آسيا وإفريقيا .

إنتاج المياه الثقيلة

أتم أحد الخبراء الألمان بتكليف من حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، وضع مشروع لإنتاج المياه الثقيلة ، والمعروف أن هذه المياه تستخدم فى صنع القنابل الذرية .

تعمير الصحارى

تكونت لجنة بوزارة حربية الجمهورية العربية المتحدة ، لدراسة تعمير الصحارى ، وطلبت من سفارتى الجمهورية فى موسكو وواشنطن موافاتها بالمطبوعات والنشرات الخاصة بتعمير الصحارى .

زراعة الأشجار الخشبية

قرر المسئولون بالإقليم المصرى ، تعميم زراعة الأشجار الخشبية على جوانب الطرق الرئيسية ، للإكثار من خشب الأثاث والمصنوعات الأخرى .

التخطيط العلمى للجامعات

تقرر تشكيل ٤٥٠ لجنة للتخطيط العلمى لجامعات الجمهورية العربية المتحدة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٣٠٠٠ مدرسة ابتدائية

تنشئها الدولة فى ٢٠ عاما

تعد الوزارة المركزية للتربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة ، مشروعا بما تحتاج إليه المبانى المدرسية فى المرحلة الابتدائية ، فى السنوات العشرين القادمة على أساس بناء ١٥٠ مدرسة كل عام ، منها ٥٠ مدرسة بدل مدارس قائمة قديمة ، و ١٠٠ مدرسة جديدة .

نفقات الطلبة اليمنيين

تعتبر معونة ثقافية

تقرر اعتبار نفقات الطلبة اليمنيين بالكليات والمعاهد والمدارس العسكرية ، فى الجمهورية العربية المتحدة بالإقليم الجنوبى معونة ثقافية .

إعفاء طلبة جزائريين

من رسوم الدراسة

أعفت حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، تسعة طلاب جزائريين ملحقين بكلية البوليس من الرسوم طوال سنى الدراسة .

أول قرية

يعاد تخطيطها بالإقليم المصرى

قامت إدارة تخطيط القرى فى وزارة الشئون البلدية والقروية بالإقليم المصرى ، بإعداد مشروع تخطيط القرى ، وستكون قرية « بنى هلال » بمديرية الشرقية القرية الأولى التى تطبق عليها دراسات هذا المشروع .

الكون كتاب . . .

والقرآن كتاب

جاء فى حديث نشر لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر : أن على الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن ، أو تفسيره ، أو احتوائه على مظاهر الكون ، فالكون كتاب . . . والقرآن كتاب . والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون ، وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك ، فلا تحملوها أكثر مما حملها الله .

جامعة حرة بالإقليم المصرى

تقرر إنشاء جامعة حرة فى الإقليم المصرى ، وستدعى الشركات والمؤسسات الكبرى للمساهمة فى تكاليف هذه الجامعة الجديدة ، التى ستحل مشكلات القبول ، واغتراب الطلبة فى الخارج ، كما توفر النقد الأجنبى ، فضلا عن أنها ستضع الطلاب تحت رقابة أسرهم .

التدخين

يسبب ضعف النظر

أعلن الدكتور «جيمس دوجارت» الجراح البريطانى ، أن التدخين يسبب ضعف النظر ، وأن معظم المصابين بالعمى الجزئى ، هم من مدمنى التدخين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

عيد الوحدة

احتفل إقليما الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٣ رجب ١٣٧٨ الموافق أول فبراير الحالى بعيد الوحدة الأول ، وشاركهما فى هذه الفرحة وهذا العيد شعوب العرب فى كل مكان .

ويذكرنا هذا العيد بالتصميم الصادق ، الذى بعث هذه الجمهورية الفتية إلى الوجود ، ففاجأ بها أبناؤها خصوم الوحدة من مستعمرين وانفصاليين ورجعيين ، هذا التصميم الذى رعى ولا يزال يرعى جمهوريتنا ، ويدعم بنيانها ويؤكد سلامتها ، ويحقق لها النجاح تلو النجاح فى كل خطوة تخطوها وفى كل إصلاح تقدم عليه .

وقد بثت هذه الوحدة الإحساس فى نفس كل عربى بالقوة الذاتية وبالقدرة على إزالة كل أدران الماضى ومخلفاته .

وبعثت الثقة بأن وطن العرب لهم ، وثرواتهم من حقهم ، وبأن تلاعب النفوذ الأجنبى بأقدارهم أصبح أو يكاد يصبح خرافة عفا عليها الزمان . ولهذا لم يقتصر الاحتفال بقيام الوحدة على أبناء الجمهورية العربية وحدهم ، بل شاركتهم هذه الفرحة أجزاء أخرى من الوطن العربى ، وابتهجت معهم بهذه الذكرى ، وتعالى دعاؤها مع دعائهم بأن يصون الله تعالى الجمهورية العربية المتحدة ، لأنها سند القومية العربية وصنو التحرر والعزة فى الوطن العربى الكبير .

بعثة لبنانية

لتهنئة الرئيس بعيد الوحدة

قررت الحكومة اللبنانية إيفاد بعثة رسمية برياسة السيد رشيد كرامى رئيس الوزراء ؛ لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر بعيد الوحدة ، وستضم البعثة السيد بيير الجميل وزير الأشغال ورئيس حزب الكتائب ، وبعض الشخصيات اللبنانية .

مؤتمر شباب آسيا وإفريقيا

افتتح صباح يوم الاثنين ٢٤ رجب ١٣٧٨ (٢ فبراير ١٩٥٩) مؤتمر شباب آسيا وإفريقيا ، المنبثق عن مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية والإفريقية فى العام الماضى .

فمنذ الصباح الباكر أخذت وفود ٣٦ دولة من شباب القارتين ، طريقها إلى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، حيث مكان الاجتماع ، فاستقبلها شباب الجمهورية العربية المتحدة : « بإقليميها » ، بالهتاف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والتصفيق ، وعزف الموسيقات ، وإطلاق الحمام الذى يرمز إلى السلام . والمؤتمر فى ذاته تعبير مجسم عن وحدة الكفاح ، التى جمعت الشعوب الآسيوية والإفريقية ، التى قاست الاستعمار . وعاشت لتقاوم ما خلفه من تأخر وانحلال ، ومن تعصب وتفرقة ، ومن ضعف وجهل . وهذه الشعوب على اختلاف أجناسها ، وتباين نظم حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمذهبية ، قد اجتمعت على نصرة الحرية ، واحترام الحق ، وإقرار السلام . ومثلها فى هذا المؤتمر شبابها ، لأن الشباب هم قوة الشعوب ، وهم الذين سيقررون المستقبل لها وللإنسانية كلها ؛ ومن هنا كانت صيحة التضامن الآسيوى الإفريقى ، صيحة إنسانية ضخمة ، أفزعت أعداء الحرية ، وأثلجت صدور محبيها . وقد لوحظ لأبناء الأزهر ، فى احتفالات المؤتمر مع إخوانهم طلبة جامعات الجمهورية العربية المتحدة نشاط حيوى مبارك ، كان له أثره فى إنجاح المؤتمر ، وإدخال السرور على نفوس ضيوفهم من شباب الشعوب الآسيوية والإفريقية الشقيقة .

برقية الرئيس إلى مؤتمر الشباب

بعث الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية ، إلى مؤتمر الشباب حيث تليت ، وهذا نصها : إلى إخوانى من شباب آسيا وإفريقيا : فى اجتماعكم الأول ، الذى يضم زهرة شباب آسيا وإفريقيا وأملها المنشود ، أبعث إليكم بأخلص تحياتى ، متمنياً لكم النجاح فى تحقيق الأهداف السامية التى اجتمعتم من أجلها ، وفى توطيد دعائم التضامن بين شعوبكم ، وتقوية أواصر المحبة والإخاء والتعاون فى سبيل تحقيق الرخاء لشعوبنا ، والحرية للشعوب كلها ، والسلام للعالم أجمع .

الرئيس جمال عبد الناصر

يخطب فى مهرجان الشباب العربى

فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم الأول لمؤتمر شباب آسيا وإفريقيا ، ألقى الرئيس جمال عبد الناصر - فى مهرجان الشباب العربى ، الذى أقيم بالنادى الأهلى ، بمناسبة افتتاح المؤتمر - خطاباً سياسياً جامعاً ، استمع له السادة الوزراء والسفراء وغيرهم من كبار الدولة ، وشباب المؤتمر الآسيوى الإفريقى ، وعدد ضخم من أبناء الجمهورية العربية المتحدة باقليميها . وقدر عدد الحاضرين بما يقرب من مائة ألف شخص ، غصت بهم مدرجات النادى الأهلى ، والسرادقات الواسعة ، التى أعدت فى الأماكن الخالية من ملاعب النادى . وحيا الرئيس فى خطابه العظيم ، شباب آسيا وإفريقيا ، وأكد أن مؤتمرهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تثبيت لمبادئ مؤتمر باندونج عن تقرير المصير والحرية والمساواة والتضامن .

وقال : إن الاتحاد هو سلاح الأمة العربية ضد الاستعمار والسيطرة والتحكم والاستغلال ، كما أعلن سيادته أن الجمهورية العربية المتحدة ، هدفها توحيد الأمة العربية كلها ، ونصرة الشعوب المغلوبة على أمرها . وعلى أثر انتهاء الرئيس من خطابه الرائع ، تعالت الهتافات بحياة الرئيس جمال عبد الناصر : رجل السلام ، وزعيم الحياد الإيجابى ، وبطل الوحدة .

إذاعة خاصة بالجامعة العربية

استعان مؤتمر الأنباء العربى ، بالإدارة الهندسية بإذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، لوضع مشروع جهاز للاستقبال والإرسال اللاسلكى ، خاص بالجامعة العربية .

تركيا والجامعة العربية

اعتذرت الجامعة العربية من عدم تحقيق رغبة إحدى شركات البترول التركية ، فى الاشتراك فى المؤتمر الأول للبترول العربى . وصرح السيد محمد سلمان ، المشرف على إدارة البترول فى الجامعة بأن المجلس الاقتصادى العربى ، حدد الدول التى تشترك فى المؤتمر ، وهى الدول العربية ، وأمارات الخليج ، والشركات التى تتعامل معها .

فلسطين بدلا من « إسرائيل »

أوصت اللجنة السياسية التابعة لمؤتمر الشباب الآسيوى الإفريقى . بإطلاق عبارة « فلسطين المغتصبة » على الجزء المحتل من فلسطين بدلا من إسرائيل .

جيش الجمهورية العربية المتحدة

فخر لكل عربى

زار السيد / إبراهيم شعبان وزير الدفاع الليبى بعض الوحدات العسكرية فى الإقليم الجنوبى ، وصرح سيادته عقب ذلك : بأن هذه الزيارة تركت فى نفسه أثرا عميقاً ، وأطلعته على مدى التقدم العظيم الذى أحرزته القوات المسلحة العربية ، مما يجعل كل عربى يزهو فخرا .

العرب أمة واحدة

أدلى السيد / عبد الرحمن البزاز عميد كلية الحقوق ببغداد ، بشهادته فى محاكمة البطل العربى عبدالسلام عارف ، ومما جاء فيها قوله : أنا أومن بأن الأمة العربية أمة واحدة ، وأن ما أصبنا به من نكبات فيما مضى ، وما قد نتعرض له فى المستقبل سببه فرقتنا ، وأن حق الأمة العربية فى التكتل حق طبيعى وأساسى ، وأنا أدعو إلى ذلك .

عبد الناصر

أقوى من الأساطيل والجيوش

فى محاضرة ألقاها النائب اللبنانى ، أميل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البستانى ، فى جامعة اكسفورد ، فى معرض الحديث عن الرئيس جمال عبد الناصر قال :

إن الرئيس عبد الناصر هو بطل العرب الوطنى العظيم ، وعلى بريطانيا ألا تعترض إذا اختاره العرب زعيما لهم ؛ فقد أثبت الرئيس جمال عبد الناصر أنه أقوى من الأسطول السادس ، ومن القوات البريطانية.

جيش التحرير الجزائرى

يخترق خط الدفاع الفرنسى

اعترفت القيادة الفرنسية بأن مئات من الجنود الوطنيين الجزائريين ، اخترقوا خط الدفاع الفرنسى المعروف باسم خط موريس المكهرب ، وكان الفرنسيون قد بالغوا فى تحصينه مما جعلهم يعلنون مراراً استحالة اختراقه .

القواعد الأمريكية بليبيا

طلب الرسميون الليبيون من أمريكا ، فتح باب المفاوضة لتعديل اتفاقية عام ١٩٥٤ الخاصة بالقواعد الأمريكية والمعونة المالية التى تقدمها أمريكا لليبيا .

موافقة روسيا على اتفاقية

السد العالى

وافقت الهيئة النيابية العليا فى روسيا على اتفاقية بناء المرحلة الأولى للسد العالى ، وبمقتضى هذه الاتفاقية ستقدم روسيا للجمهورية العربية المتحدة ، قرضاً يبلغ ٤٠٠ مليون روبل للبدء فى بناء السد .

رفض الشعوب العربية

للأنظمة الاجتماعية

المخالفة لأنظمتها لا يعتبر عملا عدائيا

قال السيد حسين العويني ، وزير خارجية لبنان فى حديث له : إن لكل أمة خصائصها ، ولا يحق لأى أمة أن تخضع أمة أخرى لمبادئ ابتكرتها ، ولا أن تتدخل فى شئونها .

وإذا كان التعاون بين شعبنا العربى والشعوب الأخرى مفروض لخير الجميع ؛ فإن رفضنا مبادئ أو تقاليد دولة ما ـ مما لا يتفق مع مبادئنا وتقاليدنا ـ لا يعتبر عملا عدائيا تجاه هذه الدولة .

أندونيسيا

تؤمم المؤسسات الهولندية

قررت الحكومة الأندونيسية تأميم جميع المؤسسات الهولندية ، وعددها ٣٨٧ مؤسسة زراعية تشمل مزارع التبغ والمطاط والسكر .

بعثات باكستانية للأزهر

أبدى السيد سفير باكستان فى القاهرة للمسئولين بالأزهر ، رغبة حكومته فى إفساح المجال لبعثات باكستانية قادمة إلى الأزهر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضـــــوع	بقـــلم
٥٩٣	شهر شعبان	الدكتور محمد البهى مدير عام الثقافة الاسلامية بالأزهر . . . . .
٥٩٦	من الدراسات النفسية فى القرآن : مسايرة القرآن للطبيعة الانسانية :	الاستاذ محمد محمد المدنى أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة . . . . .
٦٠١	السنة : عمل المرء لغيره	الاستاذ طه محمد الساكت . . . . .
٦٠٥	تشريع الزكاة	« عبدالرحمن عيسى مدير التفتيش بالازهر
٦١٠	أمة ورسالة	« محمد الغزالى مدير التفتيش بوزارة الاوقاف . . . . .
٦١٩	منهج السلوك فى الاسلام . . .	« السيد سابق مدير الثقافة بوزارة الاوقاف .
٦٢٣	الروحية الحديثة دعوة هدامة ـ ٢ ـ . . .	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية . . .
٦٢٨	كلمة حول الاحتفال بليلة النصف من شعبان	الاستاذ عمر عبدالوهاب الجندى شيخ معهد دسوق سابقا . . . . .
٦٣٤	من تاريخ السنة النبوية ـ ١ ـ . . .	« يس سويلم طه شيخ معهد الزقازيق
٦٤٠	من أبطال التاريخ : أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز	« أحمد على منصور أستاذ البلاغة والادب بمعهد شبين الكوم . . . .
٦٤٥	رسالة الأزهر ـ ٧ ـ	« حسن الشيخة المحرر الأدبى بجريدة الشعب . . . . .
٦٤٩	مدحة على بن الحسين بن القرزدق والحزين الكنانى ـ ٢ ـ	« على العمارى . . . . .
٦٥٣	نقد الكتب : القرآن المقدس	الدكتور محمد عبد الله ماضى مدير المعاهد الدينية . . . . .
٦٦٠	نقد كتاب أضواء على السنة ـ ٧ ـ	الاستاذ محمد محمد أبوشهبة الأستاذ بكلية أصول الدين . . . . .
٦٦٦	تعليقات : حول مؤتمر الأدباء	« أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر . .
٦٧٤	الأدب والعلوم	المجلة
٦٧٦	العالم الاسلامى	«